المعرفة بالحسين عليه السلام
وخصوصياته الإلهية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢م

الاخراج الفني: مكتبة ابن فهد الحلي

تصميم الغلاف: محمد صالح العويدي

مركز الطبع والتوزيع:

كربلاء المقدسة ـ شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

مجاور مرقد العلامة ابن فهد الحلي قدس سره

هاتف: ٠٧٧٠٥٨٥٦٣٧٧ ـ ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

البريد الإلكتروني: owayde110@gmail.com

المعرفة بالحسين عليه السلام

وخصوصياته الإلهية

الشيخ فاضل الصفار

بسم الله الرحمن الرحیم

كلمة الناشر

الامام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وابن سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام .. وهذا ما اتفق عليه المسلمون جميعاً..

ولكننا هل عرفناه تمام المعرفة؟

لعلنا في هذا السفر؛ وهو مقتبس من كتاب فقه الشعائر الدينية لسماحة الشيخ فاضل الصفّار وبالتحديد من الجزء الثاني ـ الفصل الأول ـ بعنوان المعرفة بالحسين عليه السلام وخصوصياته الالهية.

ولأهمية المعرفة بالحسين عليه السلام كما في الحديث الشريف: «من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كان كمن زار الله في عرشه» وفي روايات أخرى أنّ العارف بالحسين عليه السلام كمن

حجّ واعتمر ويتضاعف العدد بقدر المعرفة..

لذا ارتأينا إعادة نشر هذا الفصل في كتيّب منفصل لما له من فائدة هامة للشباب وأهل المعرفة..

والله تعالى ولي التوفيق

كربلاء المقدسة

دار ومكتبة ابن فهد الحلي

تمهيد:

تقتضي الشعائر الحسينية أن نبدأ البحث في معرفة الحسين عليه السلام وبعض خصوصياته الإلهية بنحو موجز ليتمّ من خلالها التعرّف على الخصوصيات الإلهية لشعائره أيضاً؛ لأنّ شرف المضاف مكتسب من شرف المضاف إليه، وعظمته ناشئة من عظمته، فالمعرفة ـ ولو الإجمالية ـ بالحسين عليه السلام تمهّد الطريق لمعرفة الشعائر الحسينية من حيث مكانتها وفقهها وآثارها المعنوية.

ومن الواضح أنّ معرفتنا بالحسين عليه السلام لا تكون إلاّ على قدرنا؛ لقصور غير المعصوم عن إدراك كنه شخصية المعصوم ومقاماته الربّانية، كما أنّ طريق المعرفة به منحصر بما أخبر به المعصوم نفسه، ولذا سيكون البحث في كثير من تفاصيله مستنداً إلى تحليل النصوص واستنتاج الحقائق منها، وعلى هذا فإنّ المعرفة هنا مقيّدة بحدود العارف وعلى قدره، وتتّسم بسمتين:

الأُولى: أنّها معرفة بالآثار والخصوصيات التي وهبها الله سبحانه للحسين عليه السلام، وميّزه بها عن سائر أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، وأمّا معرفة حقيقة الحسين عليه السلام ومقاماته الربّانية عند الله سبحانه فهي متعذّرة على غير المعصوم.

ولذا ورد في النبوي الشريف: «ياعلي ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا»[1].

والثانية: أنّ ما سنتعرّض إليه من خصوصيات الحسين عليه السلام ليس تعريفاً بالخصوصية، وإنّما هو بمنزلة الاضاءة البسيطة عليها، والتي تلفت القارئ إلى بعض مقامات الحسين عليه السلام الربّانية، كما أنّها ليست كلّ ما أعطاه الله سبحانه للحسين عليه السلام من مواهب وخصوصيات، بل هي بعض منها، وهي التي تتعلّق بفقه الشعائر لتأثيرها المباشر في تنقيح موضوعه، أو فهم أحكامه، أو دفع الشبهات عنه.

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص١٢٥.

ومن هنا نقول: هناك عدد كبير من الخصوصيات التي تميّز بها الحسين عليه السلام عن غيره من الأنبياء والأولياء نصّت عليها الأخبار، وكشفت عنها وقائع الأيّام وحوادثها، وسلّم لها القاصي والداني. هذه الخصوصيات نشأت من حكم ومصالح إلهية عظمى في هذا الوجود أراد الباري عزّ وجلّ للإمام الحسين عليه السلام أن يكون منفرداً بها جزاءً لما تفرّد به الإمام الحسين عليه السلام من مواقف وتضحيات عظيمة قدّمها خالصة لله سبحانه لم يرد منها إلاّ القرب منه، وتنفيذ إرادته وحكمته في الخلق، ولو أردنا أن نستعرض الخصوصيات الربّانية التي أعطاها الله سبحانه للإمام الحسين عليه السلام لاستدعى ذلك وقوفاً طويلا يستغرق موسوعة معرفيّة كبيرة بما يخرجنا عن موضوع البحث، لكنّنا من باب الإشارة إلى بعض ما يرتبط بموضوع البحث كتمهيد لفقه الشعائر الحسينية نوجز الكلام في عشر منها :

الخصوصيّة الأُولى

الحسين عليه السلام مظهر الجمال والجلال الإلهي

ورد هذا المعنى في بعض الأخبار المعتبرة؛ إذ نصّت على أنّ كلّ حرف من حروف المعجم يرمز إلى اسم من أسماء الله سبحانه الحسنى وصفة من صفاته العليا ، ففي رواية ابن فضّال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ـ مع الاقتصار على الشواهد ـ : «الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والتاء تمام الأمر بقائم آل محمّد صلى الله عليه وآله، والثاء ثواب المؤمنين على أعمالهم الصالحة، والجيم جمال الله وجلال الله، والحاء حلم الله عن المذنبين، والخاء خمول أهل المعاصي عند الله عزّ وجلّ، والدال دين الله، والذال

من ذي الجلال، والراء من الرؤوف الرحيم، والزاي زلازل يوم القيامة، والسين سناء الله، والشين شاء الله ما شاء وأراد ما أراد وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله، والصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط وحبس الظالمين عند المرصاد، والضاد ضلّ من خالف محمّداً وآل محمّدﷺ، والطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب، والظاء ظنّ المؤمنين بالله خيراً وظنّ الكافرين به سوءاً، والعين من العالم، والغين من الغني، والفاء فرج من أبواب الفرج وفوج من أفواج النار، والقاف قرآن على الله جمعه وقرآنه، والكاف من الكافي، واللام لغو الكافرين في افترائهم على الله الكذب، والميم ملك الله يوم لا مالك غيره، ويقول عزّ وجلّ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[1] ثمّ ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ

(١) سورة غافر: الآية ١٦.

ٱلْقَهَّارِ﴾[1] فيقول جلّ جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2] والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين، والواو ويل لمن عصى الله، والهاء هان على الله من عصاه، واللام ألف لا إله إلاّ الله وهي كلمة الإخلاص ما من عبد قالها مخلصاً إلاّ وجبت له الجنّة، والياء يد الله فوق خلقه باسط الرزق سبحانه وتعالى عمّا يشركون»[3].

وعلى هذا فإنّ معاني حروف اسم الحسين عليه السلام كالتالي:

الحاء: حلم الله عن المذنبين، والسين: سناء الله، والسناء له معنيان الضوء وعلو القدر والرفعة[4]، وبينهما

---

(١) سورة غافر: الآية ١٦.

(٢) سورة غافر: الآية ١٧.

(٣) معاني الأخبار: ص٤٣، ح١.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ص٤٧١، (سنى)؛ مجمع البحرين: ج١، ص٢٣١، (سنا).

ملازمة؛ لأنّ علو القدر ملازم للبروز والظهور معنوياً، وهي صفة الضوء، كما أنّ الضوء يتّسم بعلو القدر والرفعة، والياء: يد الله فوق خلقه باسط بالرزق سبحانه وتعالى عمّا يشركون، والنون: نوال الله للمؤمنين أي عطاؤه لهم[1]، ونكاله بالكافرين أي عقوبته لهم[2]، وهذا المجموع المرتّب طولياً يشكّل حروف اسم الحسين عليه السلام، وهو يتوافق مع متضافر الأخبار الدالّة على أنّهم أسماء الله الحسنى، وفي ذلك ثلاث دلائل هامّة في علم المعرفة :

الأُولى: أنّ كلّ حرف من حروف اسم الحسين عليه السلام باب من أبواب الغيب تبلغ به الغايات، وتقضى به الحوائج، فالذي يطلب الحلم والعفو والنور وما يناسبه من علم وفهم وجمال والذي يطلب القوّة والقدرة وعلو القدر والرفعة

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ص٩٦٨ ، (نول) ؛ مجمع البحرين : ج٥ ، ص٤٨٨ ، (نول) .

(٢) مجمع البحرين : ج٥ ، ص٤٨٦ ، (نكل) .

والسعة في الرزق والانتصار على الأعداء يتقرّب إلى الله سبحانه ويدعوه باسم الحسين عليه السلام، ومن الثابت عند أهل المعرفة أنّ الخير في المادّيات والمعنويات يجتمع في خزائن الغيب، ولا ينزل إلاّ بمفتاح للسرّ ووجود قابلية واستعداد لدى الطالب، ومفتاح سرّ هذه الحاجات المذكورة هو الحسين عليه السلام .

ولعلّ من هنا ورد في وصفه عليه السلام أنّه الحاوي على سرّ الله، ففي الزيارة الشريفة: « السلام عليك ياموضع سرّ الله»[1]، ونلاحظ أنّ منطوقها لا يصفه بالسرّ، بل هو موضع السرّ؛ لوضوح أنّ شخصية الحسين عليه السلام الملكوتية وروحه الإلهية هي مستودع السرّ.

ولا يخفى ما فيه من دلالة على بقاء مكانة الحسين عليه السلام وشخصيته بعيدة المنال للباحثين وأهل المعرفة مهما بالغوا في

---

(١) الإقبال : ج٣ ، ص٣٤١ ؛ المزار (للشهيد الأوّل) : ١٤٣ ، بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٣٣٦، ح١ .

الطلب، وهو أمر أقرّ به الشعراء والأُدباء والخطباء وأهل الفضل والمنبر، فإنّ للحسين عليه السلام من الخصائص والأسرار المتجدّدة في كلّ جيل وزمان، وهو في كلّ عصر يفيض على أهله ما يناسبهم من الأفكار، ويلهمهم المآثر والمناقب، ويجود عليهم بالألطاف، وهذا بعض ما يستفاد من قول الصادق عليه السلام: «من أراد الله به الخير قذف في قلبه حبّ الحسين عليه السلام وحبّ زيارته»[1].

والثانية: أنّ هذه المعاني والصفات من آثار اسم الحسين عليه السلام، فالمتّصلون بالحسين حبّاً وإيماناً وإحياءً لذكره ينالهم من بركات هذا الاسم العظيم الشيء الكثير، والذين يخالفونه ويحاربونه يحرمون منه، ومن هنا نجد أنّ أنصار الحسين والمحبّين لشعائره لهم محبوبية بين الناس، ولهم دور وتأثير في القلوب والأرواح، كما أنّهم أقوياء أغنياء

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٦٩، ح٣؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٧٦، ح٢٨.

وأرزاقهم مبسوطة، وحياتهم آمنة مفعمة بالإيمان والسلامة، بينما يشقى مخالفوه ومحاربوه بالتعاسة، وتصيبهم الهزائم في نهاية الأمر مهما خطّطوا ودبّروا لمحو ذكره والتخذيل عن طريقه، ومن هذا الحديث الشريف ونظائره يتوصّل إلى آثار وبركات كلّ اسم من أسماء النبي والأئمّة والصدّيقة الطاهرة عليهم السلام، وهو مفتاح لجملة من الأسرار الإلهية في الأوراد والأذكار والأدعية والتوسّلات لا ينبغي أن يغفل عنها أهل السرّ[1].

---

(١) فمثلا لو جمعنا معاني حروف محمّد صلى الله عليه وآله فإنّ الميم ملك الله يوم لا مالك غيره، والحاء حلم الله عن المذنبين، والدال دين الله. نجد أنّها تتوافق مع خصائص النبي صلى الله عليه وآله في أنّه الحاكم والملك في المحشر، وأنّه سيّد الحلم والشفاعة بالمذنبين، كما أنّ دينه خاتم الأديان، وأعلاها شأناً، وتظهر آثاره المعنوية على من يتوسّل به في تحصيل الملك والستر والاستقامة على الهداية والشفاعة في الآخرة .

ولو جمعنا معاني حروف فاطمة عليها السلام فإنّ الفاء فيه الفرج ، وفيه العذاب بالنار ، والألف آلاء الله ، والطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب ، والميم

هذا وقد وردت في بعض الأخبار معان أُخرى[1] لهذه الحروف ، وهي محمولة على فتح أبواب أُخرى للأسماء والصفات التي لا حدّ لها ولا نهاية ، فلا ينبغي أن يتوهّم التنافي بينها ؛ بداهة أنّ المثبتات لا تعارض بينها.

الثالثة : أنّ الحسين عليه السلام في معدنه الإلهي له مظهر وجوهر، فجوهره نور الله سبحانه ومحلّ معرفته وآية جماله وجلاله، وأمّا مظهره فيبتدئ من اسمه الشريف، وهو مجمع لجملة من أعظم الأسماء والصفات الإلهية ، وهي:

ملك الله يوم لا مالك غيره، والهاء هان على الله من عصاه، فإنّها تتوافق مع خصائصها عليها السلام ؛ لأنّها تلتقط شيعتها ومحبّيها في المحشر ، ومصير من أبغضها وحاربها النار ، وهي مظهر نعم الله سبحانه المادّية والمعنوية بما لها من مقام الأُمّ للنبوّة والإمامة ، ومصير من أحبّها الجنّة والفوز بالملك والنعيم، وأمّا من خالفها فيهون على الله أن يعذّبه ويحرقه بنار جهنّم، فهو يتضمّن الإشارة إلى أنّ الحوائج المذكورة التي يرغب بها الطالبون تنال ببركة اسم فاطمة وهكذا .

(١) معاني الأخبار : ص٤٤ ـ ٤٥ ، ح٢ .

حلم الله سبحانه عن المذنبين، وسناء الله، وقدرة الله وجوده وكرمه، ورحمة الله بالمؤمنين ونكاله بالكافرين، وفي ذلك دلالة تامّة على أنّ طريق النجاة يبدأ وينتهي بالحسين عليه السلام، كما أنّ معاداته طريق الهلكة، وبه تضافرت الأخبار، ففي الخصائص الحسينية أنّ أنبياء الله سبحانه كلّما وقعوا في شدّة تمسّكوا بالحسين عليه السلام، وحصل لهم الفرج عند ذكره والتلفّظ باسمه المبارك .

منها: ما ورد في قبول توبة آدم عليه السلام حين علّمه الله الأسماء الخمسة، فكانت الاستجابة عند قوله: بحقّ الحسين عليه السلام[1].

ومنها: سكون سفينة نوح عليه السلام حين أُوحي إليه بأن يتوسّل بالخمسة، فكان الاستواء على الجودي عند قوله :

---

(١) أمالي الصدوق : ص٣٢٣ ، ح٧ ؛ معاني الأخبار: ص١١٠ ، ح١ ؛ بحار الأنوار : ج١٢ ، ص٢٦٠ ، ح٢٣ .

وبحقّ الحسين عليه السلام[1].

ومنها : استجابة دعاء زكريا عليه السلام حين قال : ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[2] فعلّمه الأسماء الخمسة ، فحصلت البشارة له بيحيى عليه السلام عند قوله : بحقّ الحسين عليه السلام[3].

ومنها: نجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت فإنّه دعا بحقّ الخمسة وحصل نبذه بالعراء عند قوله: بحقّ الحسين عليه السلام[4].

ومنها: كشف الضرّ عن أيّوب عليه السلام، فإنّه حصل عند دعائه متوسّلا بالخمسة ، ونودي بقوله : ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا

---

(١) أُنظر أمالي الصدوق : ص٣٢٣ ، ح٧ ؛ بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٤٣ ، ح٣٨ ؛ بحار الأنوار : ج١٢ ، ص٢٦٠ ، ح٢٣ .

(٢) سورة مريم : الآية ٥ .

(٣) أُنظر بحار الأنوار : ج٤٤ ص٢٢٣ ، ح١ ؛ الاحتجاج : ج٢ ، ص٢٧٣ .

(٤) أُنظر مناقب آل أبي طالب : ج٣ ، ص٢٨١ ؛ بحار الأنوار : ج١٤ ، ص٤٠٢ ، ح١٥ .

﴿ مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[1] عند قوله : بحقّ الحسين عليه السلام[2].

ومنها: فداء إسماعيل عليه السلام ، فإنّه ورد أنّ المراد بالذبح العظيم هو الحسين عليه السلام[3].

ومنها: خروج يوسف عليه السلام من غيابة الجب، فإنّه حصل بالتوسّل بالخمسة عند قوله وبحقّ الحسين عليه السلام[4]، فـ ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾[5].

ومنها: خروج يوسف عليه السلام من السجن حينما توسّل بالخمسة عليهم السلام ولمّا قال: وبحقّ الحسين عليه السلام جاء صاحب

---

(١) سورة ص : الآية ٤٢ .

(٢) الخصائص الحسينية : ص٥١٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ، ص١٨٧ ؛ بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٢٥ ، ح٦ .

(٤) أُنظر تفسير القمّي : ج١ ، ص٣٤٥ ؛ بحار الأنوار : ج١٢ ، ص٢٣١ ، ح٥ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٩ .

السجن وقال: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾[1] إلى آخر حوادث قصّة النجاة[2].

ومنها: تفريج غمّ يعقوب عليه السلام، فإنّه لمّا ضاق عليه الأمر قال: ربّ أما ترحمني لقد ذهبت عيناي، وذهب نور عيني، فأوحى الله إليه قل: (اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن تردّ عليّ عيني) فلمّا تلفّظ بالحسين عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[3][4].

ومنها: ما ورد في تفريج كروب الأنبياء وكشف البلاء عنهم عند ذكر الحسين عليه السلام، وقد قارن ذلك أيضاً غلبة

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٢٣، ح٧؛ بحار الأنوار: ج١٢، ص٢٦٠، ح٢٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٩٦.

(٤) الخصائص الحسينية: ص٥١٤.

البكاء عليهم من دون علم بالسبب[1]. هذا ما يتعلّق بمظهريته عليه السلام للرحمة الإلهية .

وأمّا ما يتعلّق بمظهرية القدرة ونفوذ الأمر فقد تضافر مضمونه في النصوص الشريفة :

منها : ما ورد في زياراته : « من زار الحسين كمن زار الله في عرشه»[2] وقد ورد هذا في ثلاث زيارات : الأُولى : الزيارة الشعبانية، والثانية : زيارة عرفة ، والثالثة: يوم عاشوراء[3]، ولكن هناك فرق بينها في التعبير ، ففي الأُولى والثانية ورد «كمن زار الله في عرشه» بينما في زيارة يوم عاشوراء ورد «كمن زار الله فوق عرشه»[4] وفي ذلك إشارة إلى أنّها أكثر قرباً، وأنّ ارتقاء العبد فيها يكون أعلى، وهذا

---

(١) الخصائص الحسينية : ص٥١٢ ـ ٥١٤ ، (بتصرّف) .

(٢) كامل الزيارات : ص٢٧٨ ، ح١ .

(٣) أُنظر نور العين : ص٣٧٥ ، ح١٩ ؛ ص٣٩١ ، ح٢٦ .

(٤) كامل الزيارات : ص٢٧٩ ، ح٢ .

ما تعضده الروايات التي نصّت على أنّ: «من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله تعالى يوم القيامة ملطّخاً بدمه كأنّما قتل معه في عصره»[1] وبعضهم حمل الضمير على الحسين عليه السلام، والملطّخ بدم الحسين لابدّ وأن يتجاوز الملك إلى الملكوت، ولعلّ السرّ يعود لأُمور:

أحدها: أنّ هذه الأوقات هي أشرف الأوقات التي يرتقي فيها العبد إلى مستويات عالية من المحبّة والعفو والمغفرة، فيكون بهذا الارتقاء أقرب ما يكون الإنسان من ربّه، وحيث إنّ عرشه هو الرمز الإلهي في الملأ الأعلى فإنّ زيارته عليه السلام في هذه الأوقات الثلاثة تبلغ بالزائر مقام العرش.

ثانيها: أنّه نوع تكريم باعتبار أنّ هذه الأوقات هي أوقات للضيافة، فالأوّل ليلة نصف شعبان بمنزلة ليلة القدر

---

(١) المزار (للشيخ المفيد): ص٥١؛ مصباح المتهجّد: ص٧٧١، وفيه: «ملطّخاً بدمه كأنّما قتل معه في عرصة كربلاء».

للعباد؛ إذ تكتب فيها مقدّرات العبادات، وتعيّن فيها مصائرهم، ولعلّ العباد في هذه الليلة يكتبون أقدارهم بأعمالهم فيكتب لزوّار الحسين عليه السلام أفضل ما يريدون، بخلاف ليالي القدر في شهر رمضان فإنّها ليالي حجّة الله الذي تنزل عليه الملائكة والروح، والثاني عرفة؛ إذ يكون العبد في ضيافة الله، وكذا في عاشوراء باعتبار أنّه يوم التضحية والفداء الذي كرّمه الله، وأعلى شأنه، وأضاف فيه الحسين وأنصاره عليهم السلام عنده، وجعلهم سادة الملكوت، ومن الواضح أنّ الضيف يقترب من مضيفه، وينال عنده الحظوة والمكانة.

ثالثها: أنّ هذه الزيارات الثلاث لها من الآثار والبركات المعنوية العالية بحيث لو وصل العبد مقاماتها المعنوية كان قادراً على التصرّف في شؤون الكون، فيكون وكأنّه زار الله في عرشه، وحيث إنّ الزائر له كرم الضيافة على المزور فيلبّي الله سبحانه له ما يريد، فيستجيب دعاءه، ويتقبّل

عمله، ويسخّر له الوجود كرامة له، وهذا ما يلحظ من ظهور الكثير من المعاجز والكرامات في هذه الأوقات الشريفة، ولو لوحظ عدم الظهور أحياناً فذلك يرجع إلى عدم توفّر سائر الشروط، وربّما يراد به الوصول الحقيقي باعتبار أنّ عرش الله هو مظهر قدرته وسلطته ، فإذا بلغ العبد هذا المقام ببركة سيّد الشهداء فإنّ الأشياء تكون طوع أمره، ومعلوم أنّ هذا ما لايناله كلّ زائر وفي كلّ وقت، بل يتوقّف على جملة من الشروط التي لو توفّرت بلغ العبد المراد.

ويقرّب هذا المعنى ما ذكره الشيخ التستري في بيان معنى «زار الله في عرشه» حيث قال: هو كناية عن نهاية القرب إلى الله والترقّي إلى درجة الكمال، وفوق هذه الصفة صفة أُخرى، وهي أنّه يدرك بها زيارة الربّ تبارك وتعالى، فإنّه قد ورد أنّه يزوره الله كلّ ليلة جمعة، فمن زاره في ليلة الجمعة أدرك زيارة الربّ له وزيارته للربّ، وزيارة الربّ له

كناية عن إفاضة خاصّة من الرحمة عليه في ذلك الوقت، فمن أدركها لا يمكن أن يصير محروماً منها، ولا يتصوّر أن لا يناله نصيب منها، وزيارته للربّ كناية عن نهاية القرب إليه، فإذا اجتمعا حصلت له خصوصية مرتبة من شمول الرحمة الإلهية.

وفي رواية أُخرى أنّه من سرّه أن ينظر إلى الله يوم القيامة وتهون عليه سكرة الموت وهول المطلع فليكثر من زيارة قبر الحسين عليه السلام[1]، فهذه ثلاث عبارات :

زيارة الله والزيارة مع الله والنظر إلى الله، وهي عبارة عن نهاية ما يتصوّر للمخلوق من الترقّي إلى درجات القرب، ولهذا جعلت هذه الصفة باباً مستقلا، فإنّها تقابل جميع القضايا وتفوق عليها[2].

---

(١) بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٧٧ ، ح٣٤ ؛ أُنظر كامل الزيارات : ص٢٨٣ ، ح١ .

(٢) الخصائص الحسينية : ص٢٩٧ .

وربّما يحمل على المعنى المجازي ، وحينئذ تحمل زيارة الله سبحانه في عرشه على زيارة أوليائه ، وهو ما ذكره العلاّمة المجلسي قدس سره حيث قال : «زار الله في عرشه» أي عبد الله هناك، أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك، فإنّ زيارتهم كزيارة الله ، أو يحصل له مرتبة من القرب كمن صعد عرش ملك وزاره[1].

ويتوافق هذا المعنى مع الروايات المتضافرة التي تنصّ على أنّ أنبياء الله وأولياءه عليهم السلام هم وجه الله سبحانه، وأنّهم مظاهر أسماء الله وصفاته، ففي عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في التوحيد عن أبي الصلت ورد فيه : فقلت يابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه أنّ ثواب لا إله إلاّ الله النظر إلى وجه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: «ياأبا الصلت! من وصف الله عزّ وجلّ بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياءه وحججه صلوات

(١) بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٧٠ ، بيان .

الله عليهم الذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ومعرفته ، وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[1] وقال عزّ وجلّ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»[3].

وقد ورد عن الإمامين السجّاد والصادق عليهما السلام في معنى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ قالا : « نحن الوجه الذي يؤتى الله منه»[4].

وبعضهم فسّرها بكثرة الثواب فقال : « كمن زاره الله » أي كما لا يمكن الإحاطة بزيارة الله كذلك لا يحيط الزائر

---

(١) سورة الرحمن : الآيتان ٢٦ و ٢٧ .

(٢) سورة القصص : الآية ٨٨ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ، ص٩٤ ، ح٣ .

(٤) تفسير القمي : ج٢ ، ص٣٤٤ ؛ مناقب آل أبي طالب : ج٣ ، ص٦٣ ؛ تفسير نور الثقلين: ج٧ ، ص٢١٥ ، ح٢٢ ، ح٢٥ .

ولا الملائكة بعظمة وثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام[1]، ويعزّز هذا المعنى الروايات الواردة في ثواب الزائر ، فإنّها قدّرت له الثواب بالتشبيه بأفضل الأعمال ، ولم تحدّد له مقداراً، ففي رواية يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجّة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعتق ألف ألف نسمة ، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمّاه الله عبدي الصدّيق آمن بوعدي، وقالت الملائكة : فلان صدّيق زكّاه الله من فوق عرشه ، وسمّي في الأرض كرّوبياً »[2].

وفي رواية ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من زار الحسين عليه السلام من شيعتنا لم يرجع حتّى يغفر له كلّ ذنب

---

(١) عجائب زيارة سيّد الشهداء : ص١٩٠ .

(٢) كامل الزيارات : ص٣٢١ ، ح١٠ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٨٨، ح١٨ .

ويكتب له بكلّ خطوة خطاها وكلّ يد رفعتها دابته ألف حسنة، ومُحي عنه ألف سيّئة، ويرفع له ألف درجة»[1].

وفي رواية صفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الرجل إذا خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين عليه السلام شيّعه سبعمائة ملك من فوق رأسه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتّى يبلغوا به مأمنه، فإذا زار الحسين عليه السلام ناداه مناد: قد غفر الله لك فاستأنف العمل، ثمّ يرجعون معه مشيّعين له من منزله، فإذا صاروا إلى منزله قالوا نستودعك الله، فلا يزالون يزورونه إلى يوم مماته، ثمّ يزورون قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم وثواب ذلك للرجل»[2].

وربّما يكون المراد المعنى الكنائي، أي الكناية عن قبول

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٥٧، ح٨؛ بحار الأنوار: ج٨٩، ص٢٥، ح٢٦.

(٢) كامل الزيارات: ص٣٥١، ح٦؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٦٨.

الزيارة بغضّ النظر عن مقام الزائر؛ لوجود المقتضي وانعدام المانع، وأنّ الحسين عليه السلام هو عرش الله ومظهر إرادته، وهو وجهه وجنبه ومحلّ معرفته، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ الحسين عليه السلام من حملة عرش الله[1]، كما ورد عن الصادق عليه السلام أنّ العرش هو العلم والقدرة[2]، فمن زاره يكون قد زار الله في عرشه، وعلى هذا فإنّ الزائر يبلغ ببركته علو المقام والرتبة في العلم والمعرفة، وهو ما تعضده النصوص الكثيرة الدالّة على أنّ الحسين عليه السلام مفتاح العلوم والمعارف الإلهية، وببركته يبلغ الأنبياء والأولياء المقامات العالية.

ويتحصّل: أنّ زيارة الله في عرشه لها معنيان: حقيقي ويراد به وصول الزائر إلى مقامات عالية من القرب عند الله سبحانه حتّى تتجلّى عليه آيات العرش ومظاهر الجمال

---

(١) أُنظر بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٦٥، ح٢٢.

(٢) تفسير القمي: ج٢، ص٢٥٥؛ أُصول الكافي: ج١، ص١٣٠، ح٢.

والجلال الإلهي، ومجازي إمّا من باب مجاز الاسناد كما ورد عن العلاّمة المجلسي قدس سره، أو مجاز الكلمة ويراد به العجز عن إحصاء ثواب الزيارة، كما يعجز العبد عن الاحاطة بالخالق، أو يراد به ضمان قبول الزيارة أو بلوغ العبد العرش الإلهي؛ لأنّ الحسين عليه السلام مظهره ووعاء قدرته ومشيئته، وحيث لا تنافي بين المعاني المذكورة ـ بل هي متصادقة باعتبار اختلاف مراتب المعرفة أو مستويات العارفين أو اختلاف اللحاظ والاعتبار كما لا يخفى على أهل اللب ـ يمكن الأخذ بها جميعاً.

ويبقى الكلام في علو مقام الزائر بزيارة يوم عاشوراء على زيارته في الشعبانية وعرفة؛ إذ ورد التعبير عنه بأنّه «كمن زار الله فوق عرشه» وواضح أنّ الفوقية هنا معنوية كناية عن علو الرتبة لا مكانية، ولعلّ وجهها يعود إلى علو مقام يوم عاشوراء على غيره؛ لأنّه اليوم المختصّ بالحسين عليه السلام، ولا يشاركه أحد فيه، وقد كان الحسين عليه السلام فيه

أقرب ما يكون إلى ربّه تبارك وتعالى فعوّضه الله سبحانه بأن أكرم زائره، وجعله كمن يزوره فوق عرشه كرامة له، أو أنّ الله سبحانه يستجيب لزائر الحسين عليه السلام في هذا اليوم أسرع من سائر الأيّام ، فلا يردّ له حاجة أو يمنعه من لطف أو عناية يطلبها، أو لأنّ زائره في هذا اليوم يكون في مصاف أنصار الحسين عليه السلام الذين تشحّطوا بدمائهم في نصرته كما ورد، وحيث إنّ الله سبحانه قدّس هذه الدماء وباركها وجعلها فوق عرشه كان لزائره هذا المقام والمرتبة أيضاً؛ لأنّ زائره يكون كمن تشحّط بدمه، إلى غير ذلك من الوجوه والمعاني.

والمستفاد من كلّ ما تقدّم أنّ زيارة الحسين عليه السلام في هذه الأوقات الشريفة ترتقي بالعبد الزائر إلى مراقي الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، وتجعل الكون طوع أمره وإرادته معنوياً ، ولولا وجود الموانع الحاجبة من قبيل أعمال العبد القبيحة ونواقصه النفسية لظهرت آثارها عليه في الكثير من المعاجز

والكرامات، ومن هنا نجد أنّ ظهور الكرامات وقضاء الحوائج كثير في هذه الأوقات، ولعلّ ظهورها على بعض الزائرين لا جميعهم يعود إلى أنّهم وفّروا في أنفسهم شرائط الظهور أو حصل لهم الانقطاع الروحي الخاصّ في لحظة ظهور الكرامة فاستجاب لهم ربّهم دعاءهم ببركة سيّد الشهداءعليه السلام ، ولهذا البحث كلام مفصّل لا يسعه المجال هنا . هذا بعض ما يتعلّق بمظهريته عليه السلام للقدرة الإلهية .

وأمّا مظهريته عليه السلام لسناء الله سبحانه ونوره فقد جاء مضمونه في الروايات الشريفة بألفاظ مختلفة .

منها: ما ورد في وصفه عليه السلام بزين السماء والأرض، والزين اسم جامع لكلّ ما هو حسن في نفسه ويتحسّن به غيره[1]، وهو يقتضي ظهور نوره وعلو قدره ومكانته في العيون والقلوب والنفوس، ومنه الزينة وهي ما يتزيّن به

(١) لسان العرب : ج١٣ ، ص٢٠٢ ، (زين) .

الإنسان من حلي[1] فيظهر به جماله وعلو قدره[2]، ووصفه عليه السلام بزين السماء يدلّ على أنّه مظهر الحسن والجمال فيها، وتزيينها به يعود لوجوه عديدة من أجلاها أنّه النور الذي تضيء به السماوات، أو أنّ روحه ودمه يزيّن ما في السماوات؛ لأنّ اسمه عليه السلام يزيّن العرش، ومكتوب على ساقه، والحور العين مخلوقة من نوره، ودمه سكن في الخلد، وهو مظهر نور النبوّة والإمامة ، كما أنّه عليه السلام مع شيعته وأنصاره محتفون حول العرش تسطع أنوارهم في الملأ الأعلى، ولعلّ هناك معاني أُخرى لا تدركها العقول القاصرة والقلوب المظلمة .

وأمّا وصفه بزينة الأرض فالمفهوم منه أنّ وجوده وانتشار ذكره وعلو قدره وسطوع نوره في أرجاء المعمورة هو الذي زيّن الأرض، وجعل للحياة الكريمة قيمة تذكر، فإنّ

---

(١) مجمع البحرين : ج٦ ، ص٢٦٢ ، (زين) .

(٢) المعجم الوسيط : ج١ ، ص٤١٠ ، (زين) .

الأرض بعد وجودها تتزيّن بثلاثة أُمور: الأوّل : ببشرها والساكنين عليها، والثاني: بجمال العدل والحقّ فيها، والثالث: بالمعارف والقيم المعنوية التي تحكم أبناءها، وهذه الثلاثة ترجع في وجودها وبقائها إلى الحسين عليه السلام؛ لأنّه عليه السلام خلاصة الرسالات السماوية ووريث أنبيائها ، وهو الفدائي الأوّل في الخلائق الذي ضحّى بكلّ ما يملك لأجل تنفيذ أمر الله سبحانه وحكمته وإحياء دينه؛ إذ لولاه لم يبق موحّد ولا مؤمن، ولم يحكم في الأرض عدل، ولا يوجد مطالب به، ورجوع هذه الحقائق إلى الحسين عليه السلام ممّا تسالمت عليه آراء أهل الرأي وذوي الفكر، ولا تختصّ بالمؤمنين به .

فإنّ الحسين عليه السلام هو الذي أحيا القيم، وعزّز البشر بالكرامة والحرّية، وقاد مسيره التأريخ إلى الحقّ والعدل، وفضح الظلم، وتحدّى مناهجه وأساليبه، وخلّد في القلوب والضمائر أنّ الحقّ هو المنتصر وإن بات يوماً تحت حوافر

الخيل، وإنّ الدين والكرامة أغلى من الحياة والأهل والأبناء، ولذا ورد في زيارته الشريفة: «بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»[1] ومن ذلك نستخلص أُموراً :

أحدها: أنّ إحياء الحزن على الحسين عليه السلام وتخليد ذكراه بما يقوم به المؤمنون من تعظيم لشعائره هو تكريم لهذا العطاء، وإحياء لأهدافه وغاياته الإلهية العليا، كما أنّه أدنى مراتب شكر المنعم الذي يتّفق العقل والفطرة الإنسانية على وجوبه .

ثانيها: أنّ تعظيم شعائره عليه السلام ممّا يزيّن السماء؛ لأنّ الملأ الأعلى ومنذ شهادته بل وقبلها في حزن عليه وعزاء، فإذا أقام أهل الأرض العزاء ونصبوا المآتم وتذكّروا مصابه يشاركهم فيه أهل السماء، كما أنّه ممّا يزيّن الأرض وتتزيّن

---

(١) مصباح المتهجّد : ص٧٨٨ ؛ تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص١١٣ ، ح٢٠١ ؛ المزار (لابن المشهدي) : ص١٨٦ .

به الحياة البشرية؛ إذ لولاها لساد الظلام، وتحكّم الجور بأهلها، ولولا شعائره ومراسم حزنه لانشغلت ملايين الطاقات البشرية بالفساد والباطل والانحدار إلى مستويات رخيصة من الحياة التي يخطّط لها أتباع الهوى والشيطان، وجيّشوا لها الجيوش، إلاّ أنّ الحسين عليه السلام بموقفه النبيل وشهادته وبذكره وزيارته ومراسم عزائه حشّد الطاقات في الخير، وأنار قلوبها وأفكارها بالقيم الحقّة، وسما بها إلى مستويات عالية من الكرامة والإنسانية، فهو حقّاً زين الأرض كما هو زين السماء، ولا يمكن أن تحلم الإنسانية بعزّة أو كرامة أو حياة حرّة من دون الاقتداء بالحسين عليه السلام ولا يمكن أن يبلغ المؤمن هذا المراد من دون التوسّل به.

ثالثها: أنّ بلوغ الكمال والوصول إلى مقامات العارفين التي يطلبها أهل اللب واليقين فينالون بها درجات الراغبين والمحبّين والعارفين ونحوها يتلخّص في حبّ الحسين عليه السلام وزيارته وإحياء أمره وذكره والبكاء عليه ومواساته، وهذا

ما تواترت عليه كلمة أهل السرّ، وجرت عليه سيرتهم في مختلف الأعصار والأمصار بما فيهم الأنبياء عليهم السلام .

الخصوصيّة الثانية

الحسين عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية

تدلّ النصوص الكثيرة على أنّ الشعائر الحسينية وتعظيمها من القيم الإلهية العظمى في هذا الوجود، شاء الله سبحانه لها أن تقام وتعظّم فتكون وسيلة إلى هداية الناس وإصلاح أمرهم في دنياهم وأُخراهم ، والذي يتتبّع الأخبار المعتبرة يجد أنّ هناك جملة من المواهب والخصوصيات المعنوية العظيمة اختصّ الله سبحانه بها الإمام الحسين عليه السلام، لم ينل شرفها أحد غيره، وقد لازمت هذه الخصوصيات وجود الإمام الحسين عليه السلام المبارك والشعائر المتعلّقة به منذ أوّل الخلق إلى يوم المحشر كما لا

يخفى على من له اطّلاع بالأخبار ومراجعة للآثار ، منها خصوصياته في أوّل الخلق ؛ إذ يستفاد من الروايات النبوية أنّه أوّل المخلوقات وجوداً، ومنه اشتقّ وجود سائر المخلوقات ؛ إذ تواتر في روايات الفريقين أنّ أوّل ما خلق الله سبحانه نور النبي صلى الله عليه وآله ، كما تضافر النقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : «حسين منّي وأنا من حسين»[1] وفي رواية أُخرى : «أنا من حسين وحسين منّي»[2] وبناءً على أنّ (من) هنا نشوية أو بعضية حقيقية فإنّها تدلّ على أنّه أوّل ما خلق الله، ومنه

---

(١) كامل الزيارات : ص١١٦ ، ح١١ ؛ شرح الأخبار : ج٣ ، ص١١٢ ، ح١٠٥٠ ؛ أوائل المقالات : ص١٧٨ ؛ بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٢٧١ ، ح٣٥ ؛ الارشاد : ج٢ ، ص١٢٧ ؛ وانظر مسند أحمد : ج٤ ، ص١٧٢ ؛ سنن ابن ماجة : ج١ ، ص١٤٤ ، ح٥١ ؛ تاريخ دمشق (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) : ج٧٩ ، ص١١٢ .

(٢) الأمالي (للسيّد المرتضى) : ج١ ، ص١٥٧ ؛ مناقب آل أبي طالب : ج٣ ، ص٢٢٦ ؛ مصباح المتهجّد : ص٧٥٨ ؛ بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٢٩٦ ، ح٥٦ .

أنشأ الوجود، وعلى هذا الأساس بكاه جميع الخلق، وناحت عليه الكائنات قبل وجوده على الأرض كما ورد في الزيارة الشعبانية المباركة المروية عن قائم آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف «بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولمّا يطأ لابتيها»[1] ولابتيها مثنّى، وله معنيان: هما الأرض ذات الحجارة السوداء[2]، ولوي الشيء وضرب خواصره بالعصا[3].

والمقصود ظاهر، ووجه الجمع بين المعنيين أنّ وطي الأرض يتحقّق بالمشي عليها والضرب على ظهرها طلباً للرزق ونحوه. وربما وردت بصيغة المثنّى للاشارة إلى أنّه

---

(١) مصباح المتهجّد : ٨٢٦ ؛ المزار (لابن المشهدي) : ص٣٩٨ ؛ المصباح : ص٥٤٣ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٣٤٧ ، ح١ .

(٢) النهاية : ج٤ ، ص٢٧٤ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٣٤٨ ؛ المزار (لابن المشهدي) : ص٣٩٨ ؛ إقبال الأعمال : ج٣ ، ص٣٠٣ .

(٣) القاموس المحيط : ص١٦٠ ، (لبت) ؛ لسان العرب : ج٢ ، ص٨٢، (لبت) .

يطوي الأرض ببرّها وبحرها، أو سهلها وجبلها، أو يعيش عليها بيسرها وعسرها .

ويمكن أن يوجّه بكاؤهم بالخشوع والانكسار الفطري الذي يحصل لدى كلّ أحد عرف الحسين وسمع بمصائبه وإن كان قاتله، ولذا بكى عليه ابن سعد حين أمر بقتله[1]، ورقّ يزيد لعنه الله لمّا رأى الأُسارى، وقال : قبّح الله ابن مرجانة[2]، إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة[3].

هذا وقد جمع العلاّمة التستري قدس سره جملة من خصائصه الإلهية بما يبهر العقول، ويأخذ بمجامع القلوب في ولادته وشهادته ومرقده وأعضاء جسده المبارك، وكلّ ما يتعلّق به من مراسم وشعائر، وقد جمع التعبير عن ذلك

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ، ص٤٥٢ ؛ مقتل الخوارزمي: ج٢ ، ص٣٥ .

(٢) الارشاد : ج٢ ، ص١٢٠ ؛ بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١٣٦ .

(٣) أُنظر سير أعلام النبلاء : ج٣ ، ص٣٠٣ ؛ بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٦٠ .

بعض الأعاظم استشهاداً بما ورد (فوضع الله يده على رأس الحسين عليه السلام)[1] قال: وحيث إنّه كناية عن نهاية نظر الرحمة إليه فقد ظهر هذا في شيئين كما في الروايات الصحيحة .

الأوّل : ما ناله هو بنفسه .

الثاني : ما يناله الناس به .

أمّا الأوّل فإنّه مرتبة خاصّة من القرب لا نقدر على تقريرها، بل ولا على تصوّرها، ومن فروعها جعل الإمامة في ذرّيته .

وأمّا الثاني فأُمور كثيرة: منها جعل الشفاء في تربته، والإجابة تحت قبّته، وعمدتها وأعظمها وأجلّها أنّه قد خصّه بصيرورته سبباً عاماً لرحمته على عباده، وقد خلقهم لها فجعلها بذلك عمدة التسبّب، وحيث كان نبيّه رحمة

---

(١) تفسير نور الثقلين : ج١ ، ص٥٠٤ ، في ذيل الآية : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ﴾ سورة النساء : الآية ٥٩ .

للعالمين جعل الحسين من النبي وجعل النبي منه، ولذا قال: «حسين منّي وأنا من حسين»[1] فهو محلّ وضع يد الرحمة، وغذّته يد الرحمة، وربّي في حجر الرحمة، ورضع من لسان الرحمة، فهل في قلبك له رحمة، فتكون من الباكين عليه رحمة، فيصلّي عليك ربّ الرحمة، ويقال لك صلّى الله عليك ياصاحب الرحمة، صلّى الله عليك ياراحم الرحمة[2].

وتتجلّى مظاهر الرحمة الحسينية على العباد في كلّ جوانب حياتهم الدينية والدنيوية؛ إذ يستفاد من الأخبار المعتبرة أنّ المحبّين للحسين والراحمين لحالاته والمواسين له بدموعهم ودمائهم ينالون به مقامات عالية من العبادة

---

(١) كامل الزيارات: ص١١٦، ح١١؛ شرح الأخبار: ج٣، ص١١٢، ح١٠٥٠؛ أوائل المقالات: ص١٧٨؛ بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٧١، ح٣٥؛ مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢.

(٢) الخصائص الحسينية: ص١٣٩ ـ ١٤٠، (بتصرّف واختصار).

والعبودية في طول أعمارهم.

تؤكّد هذه الحقيقة الشواهد التالية:

الأوّل: أنّ زائر الإمام الحسين عليه السلام يكون من عباده المكرمين[1] وهم الملائكة، وقد ورد هذا في العديد من الأخبار التي تنصّ على أنّ من زاره تصلّي عليه الملائكة، وتسبّح وتقدّس وتستغفر له إلى يوم القيامة[2]، بل وتنوب عنه في زيارته إلى يوم القيامة[3].

الثاني: أنّ زائره عليه السلام يرتقي إلى مراتب مرافقة النبي والأوصياء عليهم السلام والمعاشرة معهم والأكل معهم وعلى موائدهم ومصافحتهم ومحادثتهم[4].

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٧١، ح٤، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٨، ح٢.

(٢) كامل الزيارات: ص٣٧٤ ـ ٣٧٧، ح٥؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٦٣ ـ ١٦٤، ح٨.

(٣) أُنظر كامل الزيارات: ص٣٥١، ح٦، وص١٧٦، ح١٧؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٦٧ ـ ٦٨، ح٦٢.

(٤) أُنظر كامل الزيارات: ص٢٣٠، ح٤؛ وص٢٤٠، ح٢.

الثالث: أنّ زائره ينال ثواب العبادات كلّها، بل يعطى ثواب عبادة العمر كلّه، بل الدهر كلّه[1]، وفي بعض المواقف ينال ثواب سقي عسكر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وذلك لمن سقى الماء في عاشوراء عند قبره[2].

الرابع: أنّ زائره والباكي عليه تغفر جميع ذنوبه الماضية، بل قد يحصل على غفران الذنوب المستقبلية ـ إذا توفّرت الشروط ـ ولا يختصّ به، بل قد يحصل على مغفرة ذنوب والديه ، بل وذنوب من أحب[3].

الخامس: أنّ زائره ومن يتمنّى أن يكون شهيداً مع الحسين عليه السلام ويقول: (ياليتني كنت معكم) ينال ثواب من

---

(١) ثواب الأعمال : ص٧٧ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٧٠ و ص٧٨ .

(٢) كامل الزيارات : ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ح٦ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص١٠٥ ، ح١٤ .

(٣) أُنظر كامل الزيارات : ص٣١١ ، ح٤ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٢٧ ، ح٣٤ ؛ مستدرك الوسائل : ج١٠ ، الباب ٢٦ من أبواب المزار وما يناسبه ، ص٢٣٨ ، ح١٢ .

استشهد معه[1]، وإذا أحبّ عمل الشهداء شاركهم فيه، وحشر معهم[2]، وإذا بات عنده في ليلة عاشوراء حتّى يصبح حشره الله تعالى ملطّخاً بدم الحسين عليه السلام في جملة الشهداء معه عليه السلام[3].

والظاهر أنّ زائره ومواسيه ينال ما هو أعظم من ذلك؛ لأنّ المجاهد معه يحصل على ثواب جهاد واحد، وينال أجره، وكذا المستشهد معه والمتلطّخ بدمه في سبيله، إلاّ أنّ الزائر والمواسي ينال ذلك مرّات ومرّات بحسب تكرّر الزيارة والنيّة والمواساة[4].

السادس: أنّ زائره يضمن دعاء أولياء الله وخيرة خلقه وعباده؛ إذ يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٩٣، ح٥؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٦.

(٢) بشارة المصطفى: ص٧٤.

(٣) إقبال الأعمال: ج٣، ص٥٠؛ مسار الشيعة: ص٢٥؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٠٣ـ١٠٤، ح٥.

(٤) أُنظر الخصائص الحسينية: ص١٥٣.

والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين[1] وتدعو له الملائكة[2].

وفي رواية أُخرى أنّ زائره ليخرج من رحله فما يقع فيؤه على شيء إلاّ دعا له[3]، بل إنّ الإمام عليه السلام يسأل جدّه وأباه أن يدعوا لزائره والباكي عليه[4]، وقد دعا الصادق عليه السلام في سجوده لمن قلّب خدّه على قبر الحسين عليه السلام، ولمن جرى دمعه عليه ، ولمن صرخ لأجله[5].

السابع: أنّ زائره والباكي عليه ينال مقام الناصر لله سبحانه ولرسوله والصدّيقة الطاهرة ولسائر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، وهذا مقام واجب على كلّ مؤمن ؛ إذ قال

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٢٧، ح١ ؛ ص٢٣٠، ح٤ ؛ تهذيب الأحكام: ج٦ ، ص٤٧ ، ح١٠٣ ؛ بحار الأنوار: ج٩٨ ، ص٥٣ ، ح٣.

(٢) كامل الزيارات: ص٢٣٠ ، ح٤ ؛ المزار (لابن المشهدي) : ص٣٢٨، ح٨ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٥٤ ، ح٩ .

(٣) كامل الزيارات: ص٤٩٦ ، ح١٧ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص١٥.

(٤) أمالي الطوسي: ج١ ، ص٥٤ ؛ بحار الأنوار: ج٩٨ ، ص٦٤ ، ح٤٩.

(٥) بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٥٢ ، ح١ .

سبحانه : ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[1].

ومن الواضح أنّ الله أجلّ من أن يحتاج إلى نصرة، إلاّ أنّ المراد منها نصرة أوليائه ودينه ؛ لأنّ نصرتهم هي نصرته كما حقّق في علم الكلام، وكلّما كان المنصور من أوليائه أعلى رتبة وكانت قضية النصرة عظيمة والمظلومية فيها أشدّ كان تحقّق نصرة الله فيها أظهر وأعظم، وهذا لا ينطبق إلاّ في نصرة سيّد الشهداء عليه السلام ؛ لأنّه جمع جميع مقامات الأنبياء وظلاماتهم ؛ إذ قال الصادق عليه السلام: «بأبي المستضعف الغريب»[2].

ومن الواضح أنّ نصرته عليه السلام لها مظاهر ومصاديق وتجلّيات كثيرة، فزيارته نصرة له، والبكاء عليه نصرة له، وإقامة عزائه نصرة له، وتمنّي نصرته نصرة له، والسجود على تربته والتسبيح بسبحة تربته نصرة له، وتسمية الولد

---

(١) سورة الصف : الآية ١٤ .

(٢) الكافي: ج٤، ص١٤٧، ح٧؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص٩٥، ح٤٠ .

باسمه ونظم الشعر في حقّه وتأليف الكتاب وتسمية المدرسة والتربية والتعليم على نهجه هذه كلّها نصرة له، فإذا استجمع العامل بذلك شروط النصرة يكون ناصراً لله ونصيراً له. إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي لو أردنا استقراءها لاستدعى أن نعقد بحثاً مستقلا له[1].

ونلاحظ أنّ ما يناله المؤمن من الفضائل والمقامات العالية في العبادة والعبودية في نصرة الإمام الحسين عليه السلام ومواساته وتعظيم شعائره ما يعجز عن أن يناله ولو عاش آلاف السنوات، ووظّف وقته وجهده وكلّ طاقاته لأجله، إلاّ أنّه ينال ذلك باليسير من العمل ببركة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا لطف خاصّ أعطاه الله له عليه السلام، وهو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية في الإمام الحسين عليه السلام .

---

(١) أُنظر تفاصيل ذلك في كتاب الخصائص الحسينية للشيخ جعفر التستري قدس سره .

الخصوصيّة الثالثة

القرآن يقصّ مصيبة الحسين عليه السلام ويعظّم شعائره

إنّ العلاقة بين القرآن والحسين عليه السلام دائمة لا تنفكّ، وكلّ منهما يمثّل الآخر تكويناً وتشريعاً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض، وهما الثقلان اللذان أودعهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمّته .

فإنّ القرآن كلام الله الصامت، والحسين عليه السلام قرآنه الناطق، وقد أشارت الأخبار الشريفة إلى وجوه عديدة للشبه بينهما في المقام والأدوار والمهام ، فالقرآن فرقان بين

الحقّ والباطل وهدى للناس وكذلك الحسين عليه السلام، بل كتب على ساق عرش الله سبحانه أنّه عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة .

القرآن سمّاه الله مباركاً فقال: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾[1] وسمّى الليلة التي أُنزل فيها مباركة فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[2] وقد سمّى الله سبحانه الحسين عليه السلام مباركاً بوحي إلى رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله «بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي»[3] والقرآن نور وشفاء ورحمة للمؤمنين ، والحسين عليه السلام نور وشفاء للأمراض الباطنة ، وتربته شفاء للأمراض الظاهرة، وهو رحمة للمؤمنين وباب نجاة الأُمّة، وأكثر فوزهم وعلو مراتبهم به[4].

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٥٠ .

(٢) سورة الدخان : الآية ٣ .

(٣) كامل الزيارات: ص١٤٢، ح١ ؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٣٨، ح٢٩ .

(٤) كامل الزيارات: ص٢٧٥ ؛ بحار الأنوار: ج٩٨ ، ص١٢٣ ، ح١٥.

والقرآن شافع لمن يتلوه ويداوم عليه[1]، والحسين عليه السلام شافع لمن يذكره ويزوره ويبكي عليه[2]، القرآن معجزة في أُسلوبه ومضامينه ومعانيه، والحسين عليه السلام معجزة في وجوده وسيرته ونهجه وشهادته، وهو مظهر الكرامات والبركات، القرآن جديد لا يبلى ولا يملّ بكثرة القراءة والتكرار ، والحسين عليه السلام جديد في كلّ وقت ومصابه حي في كلّ سنة ، ولا يملّ بكثرة الذكر والتكرار، القرآن قراءته عبادة واستماعه عبادة والنظر إليه عبادة، والحسين عليه السلام ذكره عبادة، ورثاؤه عبادة، واستماع رثائه عبادة، والجلوس في مجلسه عبادة، والهمّ له عبادة ، والبكاء عليه عبادة، والإبكاء عليه عبادة، والتشبّه بالباكي عليه عبادة ، وزيارته عبادة ، والسلام عليه عبادة ، وزيارة زائره عبادة،

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ج١ ، ص٥٤ ؛ بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٨١ ، ح١٣ و ح١٤ .

(٢) كامل الزيارات : ص١٠٦ .

وتمنّي الشهادة معه عبادة[1].

القرآن حكى قصص الأنبياء عليهم السلام وحالاتهم وما نزل بهم من مصائب وابتلاءات بالبيان، ومصاب الحسين عليه السلام جمع كلّ مصائب الأنبياء بالعيان، وزاد عليها بما جعله أُسوة لهم جميعاً .

القرآن آياته الظاهرة ستّة آلاف وستمائة وست وستّون ، والحسين عليه السلام آياته الظاهرة في بدنه ألف وتسعمائة وقيل أربعة آلاف ، وإذا عددت الجرح على الجرح وما أصابه من الرض بلغت إلى ستّة آلاف وستمائة وست وستّين[2]، إلى غير ذلك من وجوه الشبه الظاهرة والباطنة ، وقد أشار إلى جملة منها العلاّمة التستري قدس سره في خصائصه[3].

بل تضمّن القرآن الكريم في آيات عديدة مقامات الحسين

---

(١) أُنظر الخصائص الحسينية : ص٣٥٥ـ ٣٥٦ (بتصرّف) .

(٢) الخصائص الحسينية : ص٣٥٧ .

(٣) أُنظر الخصائص الحسينية : ص٣٥٣ وما بعدها .

عليه السلام، وحكى مصائبه ورثاه بدلالة الاشارة التي يفهمها الخواصّ، أو اللطائف التي يفهمها الأولياء، أو الحقائق التي يدركها الأنبياء[1]، كما تضافرت الأخبار عن أهل العصمة عليهم السلام التي تشرح بعض تفاصيلها بالعبارة ليفهمها العوام أيضاً .

وذلك ليبيّن للناس أنّ مصيبة الحسين عليه السلام ليست مصيبة عادية ، بل هي حقيقة إلهية كبرى أراد الله سبحانه أن تكون محور الشرائع وغايات الأنبياء عليهم السلام ومظهر ابتلاءاتهم وصبرهم وعلو مقاماتهم، كما يرسّخها في الأذهان والقلوب والضمائر ليستذكرها الناس كلّما قرأوا القرآن في آناء الليل وأطراف النهار، والشواهد والنماذج على هذه

(١) إشارة إلى الحديث الشريف الوارد عن الحسين بن علي عليهما السلام قال : «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء » بحار الأنوار : ج٩٢ ، ص٢٠ ، ح١٨ .

الحقيقة كثيرة . نكتفي باستعراض ثلاثة منها :

الشاهد الأوّل : الآية الخامسة عشرة من سورة الأحقاف إذ أشارت إلى حمله عليه السلام وولادته . قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١) .

وقد ورد في كامل الزيارات والبحار بأسانيد معتبرة أنّه لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام نزل جبرئيل فقال : يامحمّد إنّ الله يقول : السلام عليك ، ويبشّرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أُمّتك من بعدك ، فقال : «وعلى ربّي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أُمّتي من بعدي» فعرج ثمّ نزل وقال كما قال ، فأجاب كما أجاب ، ثمّ عرج ثمّ نزل أيضاً وقال : إنّ الله يبشّرك إنّي جاعل في

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

ذرّيته الإمامة والولاية والوصيّة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: « قد رضيت » ثمّ أرسل إلى فاطمة بما جاء به جبرئيل أوّلا فقالت: « لا حاجة لي في مولود تقتله أُمّتك بعدك» فبشّرها بما بشّر، فقالت: «قد رضيت» (فحملته كرهاً) لأنّه مقتول (وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً) بأنّه مقتول ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾[1] فلو أنّه قال: وأصلح لي ذرّيتي لكانت ذرّيته كلّهم أئمّة ، ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من أُنثى، ولكنّه كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع ابهامه في فيه فيمصّ منه لبناً ما يكفيه اليومين والثلاثة ، فنبت لحم الإمام الحسين من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودمه من دمه .

ولم يولد مولود لستّة أشهر إلاّ يحيى بن زكريا والحسين

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

بن علي عليهما السلام[1].

وقد وجّه العلاّمة التستري قدس سره معنى الآية بقوله: اعلم أنّ معنى قوله كرهاً هو الحزن والأسف عليه في حمله ووضعه وحضانته وإرضاعه وتربيته واللعب معه في طفولته وفي إدخال السرور عليه من قبل جدّه أو أبيه أو أُمّه، وقد مات جدّه وهو حزين آسف عليه، وماتت أُمّه ومات أبوه وأخوه كذلك، كما نطقوا به عند موتهم، وقد خلّته أُخته في المقتل وذهبت عنه كرهاً، وأي كره هو وأي حزن وأي أسف وأي صراخ وأي عويل[2]، والعبارة المذكورة مستفادة من مضامين جملة من الوقائع والأخبار[3].

---

(١) كامل الزيارات : ص٥٦ ـ ٥٧ ، ح٦ ، (بتصرّف) ؛ وانظر أُصول الكافي : ج١ ، ص٤٦٤، ح٤ ؛ مناقب آل أبي طالب : ج٤ ، ص٥٠ ؛ بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ح١٧ .

(٢) الخصائص الحسينية : ص٣٧٠ .

(٣) أُنظر اللهوف على قتلى الطفوف : ص٥٧ ـ ٥٨ ؛ مثير الأحزان : ص٧٧ ؛ بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٥٨ ـ ٥٩ .

وبالتأمّل في مضامين الرواية الشريفة نتوصّل إلى عدّة حقائق:

الحقيقة الأُولى: أنّ الله سبحانه بشّر نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله بواقعة عاشوراء ومصائب الحسين عليه السلام قبل انعقاد نطفة الحسين عليه السلام وحمله وولادته، وهو يدلّ على أنّ القضية لم تكن من القضايا السياسية التي تحدث في حينها، ولا من القضايا العسكرية التي تخلقها الظروف أو المصالح، كما أنّ وقائعها ونوائبها وكرباتها لم تكن صدفة، بل القضيّة بكلّ ما فيها من أحداث وأحزان وفجائع من المقدّرات الإلهية التي اقتضت وجودها الحكمة الربّانية في هذا الوجود لحفظ توازن الخلق، وحفظ الشرائع وتخليد الأنبياء، وهداية الناس وقيادتهم إلى الحقّ والسنن الإلهية، والتي لأجلها بعث الله رسله، وأنزل كتبه ، ونصب الأئمّة، فلولا ذلك لبطلت الحكمة في الخلق، وصار البعث والإرسال وإنزال الشرائع والسنن من الأُمور العبثية الخالية من الغرض ،

ومن أجل ذلك صار الحسين عليه السلام بشهادته الكريمة على الله سبحانه محيي الشرائع والسنن، وله فضل إبقاء الأنبياء وإحياء ذكرهم وحفظ الغاية من وجودهم .

ومن الواضح أنّ هذه الغاية الإلهية الكبرى تقتضي التبشير بحامل لوائها والمحقّق لها، ولذا بشّر الله سبحانه نبيّه، وبشّر نبيّه بها أُمّه فاطمة مع أنّ نتيجتها القتل ذبحاً، والشهادة صبراً، والتلظّي عطشاً، وغيرها من حوادث أفجعت الوجود .

الحقيقة الثانية: أنّ قواعد عصمة النبي صلى الله عليه وآله ومقاماته الإلهية وشرفيته وأفضليته على سائر الخلق، وكذا مقتضى علومه اللدنّية المحيطة بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومقتضى علمه بالحكمة الإلهية وقربه وحبّه لربّه عزّ وجلّ. هذه كلّها تستدعي ـ أنّ يحمل قوله: «لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أُمّتي من بعدي» وتكرار القول مرّتين، فلمّا أخبره بأنّ الله سبحانه جاعل في ذرّيته

الإمامة والولاية والوصيّة قال: «رضيت» على أحد وجوه:

الأوّل: أنّ ذلك كان لاستخبار الحكمة الإلهية فيه.

الثاني: أنّ ذلك كان لبيان عدم الحاجة من الجهة الشخصية لا الجهة المقامية، فإنّ العطاء الإلهي تارةً يكون للشخص وتارةً يكون لمقامه، والخصوصيات والآثار بينهما تختلف، ومن الواضح أنّ العطاء الشخصي يقتصر على الشخص نفسه ومصالحه الخاصّة بخلاف العطاء المقامي، ومن الناحية الشخصية لا يحتاج الإنسان مولوداً يقتل؛ لأنّ المولود يطلب لأجل الانتفاع به، والقتل يمنع من النفع، وربّما يتنافى مع الحكمة، بخلاف المولود الذي يعطيه الله سبحانه لجهة المقام المعنوي، فإنّه لا يلحظ فيه مصلحة ذات الشخص بل مصلحة المقام، ولما بيّن الباري عزّ وجلّ لرسوله الأمين بأنّ عطاء الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله من جهة المقام لا الشخص وأنّه منبع الإمامة والولاية والوصاية قال: «رضيت» فإنّ قتله بحسب ما قدّر له سيكون فيه الخير

والبركة وتمام النفع المطابق لموازين الحكمة .

الثالث: أنّ ذلك كان لإظهار سخط النبي صلى الله عليه وآله وعدم رضاه بقتل الحسين عليه السلام، فيكون حجّة على الموالين في نصرته، وعلى المخالفين في قتله؛ إذ لا يبقى عذر لأحد في الشكّ بحقّانيّة الحسين عليه السلام ومظلوميته، كما لا يبقى أثر للتضليل الذي تحدثه السياسة، أو ترسّخه الدعاية والإعلام في عقول الناس، وما يقال في جواب الرسول صلى الله عليه وآله يقال في جواب الصدّيقة الطاهرة عليها السلام لأنّهما نور واحد .

الحقيقة الثالثة: قوله: «وأصلح لي من ذرّيتي» فلو أنّه قال: «وأصلح لي ذرّيتي لكانت ذرّيته كلّهم أئمّة » ظاهر في أنّ الخطاب للحسين عليه السلام، وهو إمّا من باب خطاب الحال أو الخطاب الحقيقي في عوالم قبل الدنيا، وهو دليل على أنّ الإمام عليه السلام مطّلع على حكمة التقدير الإلهي في النبوّة والإمامة وحوادث الوجود، فلذا لم يطلب أكثر ممّا قرّره الله سبحانه، وذلك لأنّ حكمة وجود الأئمّة يتحقّق في الاثني

عشر من عترة النبي صلى الله عليه وآله، فطلب ما هو أزيد من ذلك يتنافى مع الحكمة الربّانية والتسليم لأمر الله سبحانه .

الحقيقة الرابعة: أنّ عدم رضاع الحسين عليه السلام من أُنثى حتّى من أُمّه فاطمة عليها السلام وانحصار رضاعه بما غذّته إبهام النبي صلى الله عليه وآله قد يتضمّن أكثر من حكمة.

منها: إظهار فضله .

ومنها: تذكير القوم الذين يعادونه ويقتلونه ويدّعون أنّهم مسلمون بأنّ الحسين عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهما جسد واحد ودم واحد ولحمهما واحد.

ومنها: أنّ بعض المقامات المعنوية التي قدّرها الباري عزّ وجلّ للحسين عليه السلام لا يصلها إلاّ عبر هذا الطريق، وهذا ما تؤكّده الفقرة الواردة في زيارته الشريفة: «غذّتك يد الرحمة، ورضعت من ثدي الإيمان، وربّيت في حجر الإسلام»[1] بناءً على أنّ المراد من الرحمة هو العناية

(١) إقبال الأعمال: ج٢ ، ص٦٤ ؛ المزار (للشهيد الأوّل) : ص١٧٤.

الإلهية، أو يد النبي المصطفى ﷺ إذ سمّي في القرآن والسنّة بالرحمة، ولعلّ من هنا صار الحسين عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الواسعة وباب نجاة الأُمّة، كما صار محلّ الإيمان والعقيدة الحقّة ومفتاح المعرفة الربّانية، ومن هنا اتّفق أهل المعرفة على أنّ باب المعارف الإلهية واتّصال الأرواح بعالم الملكوت وبلوغ العباد مراتب اليقين مفتاحها الحسين عليه السلام.

ومنها: إلفات الناس أنّ كلّ ما يتعلّق بالحسين عليه السلام معجز، فحمله وفصاله معجز، ورضاعه معجز؛ إذ لم يرتضع صبي غيره من إبهام، وكان ما يمصّه لبناً، وتكفيه المصّة اليومين والثلاثة، وذلك لكي لا يستغربوا إذا شاهدوا رأسه يتلو القرآن من على الرمح، أو أنّ الطيور سبحت في دمه، والنجوم هوت على جسده، وأنّ الأسد رابض عند أشلائه المقطّعة ليحميها من السباع والضباع التي أراد بنو أُمّية أن تأكلها، وغير ذلك من معاجز وكرامات، بل

يدعوهم إلى الإيمان به والتمسّك بقضيّته .

كما تلفت أنظار المؤمنين الذين يحيون شعائره باللطم والبكاء والإدماء وغيرها من مظاهر تقتضي بحسب الموازين العادية مزيد الألم والملل والمرض والموت إلاّ أنّها في عزاء الحسين عليه السلام تكون باعثة على الصحّة والسلامة وشدّة الشوق والتلهّف والرضا إلى أنّ ذلك لم ينشأ جزافاً، بل ناشئ من العنايات الإلهية والألطاف الربّانية بالحسين عليه السلام وعاشوراء .

الشاهد الثاني: في قضية ذبح إسماعيل عليه السلام التي ذكرها الباري عزّ وجلّ في سورة الصافات بقوله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ

عَظِيمٍ ﴾ [1] فإنّ هذه الحادثة العظيمة إشارت إلى شباهتين إحداهما إسماعيل بالحسين عليه السلام ، والثانية شباهة إبراهيم عليه السلام به .

أمّا الشباهة الأُولى فمن ثلاثة وجوه :

الأوّل : التسليم لأمر الله .

والثاني : الصبر على تنفيذه .

والثالث: الإيثار للغير. فإنّ تسليم إسماعيل للذبح كان لأجل إتمام ابتلاء إبراهيم عليه السلام وإكمال طاعته، وهذه الثلاثة صفات الحسين عليه السلام في تضحيته، بل زاد الحسين عليه السلام على إسماعيل في أنّه نال الشهادة ذبحاً عطشاناً غريباً مكروباً وبيد أعدائه ، ولم يصب إسماعيل بواحدة منها .

وأمّا الشباهة الثانية فإنّه قدّم ولديه العزيزين الأكبر والأصغر عليه السلام للذبح والشهادة كما قدّم إبراهيم عليه السلام ذلك، لكنّه فاق إبراهيم في أنّه قدّم ولدين لا واحداً ، وهما

---

(١) سورة الصافات : الآيات ١٠٢ ـ ١٠٧ .

أعزّ ما لديه ؛ لأنّ الولد الأكبر والأصغر هما أعزّ الأولاد على قلب الأب ، بل كان الأكبر أشبه الناس خلقاً وخُلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ، والأصغر طفلا رضيعاً لا يقوى على شيء بحسب المعهود عند عموم الناس ، ورآهما يتقطّعان بالسهام والسيوف والعطش ، ولم يزدد في ذلك إلاّ شكراً وتسليماً وتقرّباً ، واكتفى بقوله : « هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله»[1] ولم يصب إبراهيم بواحدة منها كما يستفاد من بعض الأخبار[2].

بل إنّ إسماعيل ساعد والده في تنفيذ الأمر الإلهي، وعمل على تخفيف وطأة الموقف على قلب والده، والتقليل من ألم والدته وحزنها ، فقد ورد أنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أخذه

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج١ ، ص٩ ؛ كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ص٤٧٧ ؛ وانظر لواعج الأشجان : ص١٨١ ، وفيه : «هوّن عليّ ما نزل به إنّه بعين الله » .

(٢) أُنظر عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ، الباب ١٧ ، ص١٦٦ ، ح١ .

للذبح قال له إسماعيل عليه السلام : ياأبت أحكم من شدّ الحبل كي لا تتحرّك يدي ورجلي أثناء تنفيذك الأمر الإلهي، أخاف أن يقلّل ذلك من مقدار الجزاء الذي سألناه ، والدي العزيز: اشحذ السكّين جيّداً ، وامرره بسرعة على رقبتي كي يكون تحمّل ألم الذبح سهلا بالنسبة لي ولك، والدي: قبل ذبحي اخلع ثوبي من على جسدي كي لا يتلوّث بالدم؛ لأنّي أخاف أن تراه والدتي وتفقد عنان صبرها ، ثمّ أضاف : أوصل سلامي إلى والدتي، وإن لم يكن هناك مانع أوصل ثوبي إليها كي يسلّي خواطرها ، ويهدّئ من آلامها؛ لأنّها ستشمّ رائحة ابنها منه، وكلّما أحسست بضيق القلب تضعه على صدرها ليخفّف الحرقة الموجودة في أعماقها[1].

وفي رواية الفضيل قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : «لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل

---

(١) تفسير الأمثل : ج١٤ ، ص٣٦٨ .

الكبش الذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده ، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ياإبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: ياربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله ، فأوحى الله إليه أفهو أحبّ إليك أم نفسك ؟ قال : بل هو أحبّ إليّ من نفسي . قال : فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال : بل ولده . قال : فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: ياربّ ! بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: ياإبراهيم ! فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى

الله عزّ وجلّ: ياإبراهيم! قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بجزعك على الحسين وقتله، أوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾»[1] [2].

ويستفاد من منطوقها عدّة حقائق :

الحقيقة الأُولى: أنّ وقوع الحزن والجزع على مصيبة الحسين عليه السلام عند خليل الله قبل حدوث الواقعة، وهو في الوقت الذي يدلّ على أنّ الفاجعة من أكبر المقدّرات الإلهية في هذا الوجود التي تولّى الله سبحانه حكايتها لأنبيائه عليهم السلام، وأعدّهم نفسياً وفكرياً لتقبّلها والتعاطف معها، كما جعل ذكرها والحزن والبكاء عليها طريق الارتقاء المعنوي والتقرّب إليه، فارتقاء الأنبياء درجات القرب

---

(١) سورة الصافات : الآية ١٠٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج٢ ، ص١٨٧ ، ح١ ؛ الخصال : ص٥٨ ، ح٧٩ .

وبلوغ الرتب العالية في القرب والزلفى عند الله سبحانه يبدأ وينتهي بالحسين عليه السلام وتذكّر مصيبته والبكاء والجزع عليها.

الحقيقة الثانية: أنّ نزول المصيبة توجب الأجر والثواب على أهلها، وتفتح لهم أبواباً للتقرّب إلى الله سبحانه، وعلى قدر البلاء والمصيبة يكون التقرّب والرضا، وهذا السبيل هو الذي خطّه الحسين واتّخذه طريقاً للعبودية والقربى إلى الله سبحانه، ولذا كان يكرّر قوله: «خيّرلي مصرع أنا لاقيه»[1] وقوله: « نصبر على بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين»[2] وبهذا المفهوم والرؤية ناجت أُخته العقيلة عليها السلام ربّها حينما رفعت أشلاء الحسين عليه السلام المقطّعة في وادي كربلاء وقالت: «إن كان هذا يرضيك فخذ حتّى ترضى،

---

(١) معالم المدرستين : ج٣ ، ص٣٠٤ .

(٢) شرح الأخبار : ج٣ ، ص١٤٦ ؛ مثير الأحزان : ص٢٩ ؛ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) : ص٢١٧ .

اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان»[1] وفي ذلك إشارة لطيفة لأهل السرّ إذا أرادوا بلوغ الكمال ومراقيه العالية .

الحقيقة الثالثة: أنّ الذين قتلوا الحسين عليه السلام في شخصه ليسوا من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وإن زعموا أنفسهم منها ، وإنّ سخط الله يلاحقهم في الدنيا والآخرة ، وهذا الحكم يشمل من يحاربون الحسين عليه السلام ويحاولون قتله شخصيةً أيضاً لعدم الفرق بين الوجود الجسدي للحسين والوجود المعنوي، بل قد يقال إنّ انعكاس آيات الجمال والجلال الإلهي في شخصيته عليه السلام أظهر وأبهر إن أمكن التفكيك بين شخصه وشخصيته، وعلى هذا الأساس لا يقلّ جزاء الذين يحاربون الحسين ويخالفونه في شخصيته المعنوية من أُولئك الذين حاربوه في شخصه .

وفي المقابل فإنّ الذين نصروا الحسين عليه السلام ودافعوا عنه ببذل الأرواح والمهج وصلوا درجات عالية من الكرامة عند

---

(١) أُنظر حياة الإمام الحسين عليه السلام : ج٢ ، ص٣٠١ .

الله سبحانه، والذين ينصرونه في شخصيته ويبقون ذكره ويسخّرون أنفسهم ويوجّهون طاقاتهم ويبذلون أموالهم في سبيل إحياء شعائره وتقويتها لهم مثل أُولئك من الأجر والثواب.

الشاهد الثالث: في سورة مريم إذ تضمّنت مجموع السورة إشارات عديدة تذكّر بالحسين عليه السلام وعاشوراء ؛ إذ تناولت في قسمها الأوّل قصص زكريا ومريم والمسيح ويحيى وإبراهيم وولده إسماعيل عليه السلام ، وجمع آخر من الأنبياء العظام الذين تأسّوا بالحسين عليه السلام في بعض مصائبه ، وفي مفتتح السورة قال تعالى : ﴿**كهيعص**﴾[1] وهذه الحروف المقطّعة وإن اختلف المفسّرون في بيان معناها أو فهم الغاية منها اختلافاً كبيراً وربّما بلغت الآراء ما يتجاوز العشرة[2] إلاّ أنّ

---

(١) سورة مريم : الآية ١ .

(٢) أُنظر مجمع البيان : ج١ ، ص٣٢ ـ ٣٣ ؛ تفسير كنز الدقائق : ج١ ، ص١٢٠ وما بعدها ؛ مواهب الرحمان : ج١ ، ص٧٨ .

الرأي المعتمد والمتّفق على صحّته بينهم هو أنّها تشير إلى معان رمزية لا يعرفها إلاّ أولياؤه المقرّبون الذين خوطبوا بالقرآن، وهم النبي والأئمّة عليهم السلام، كما ورد في أخبار عديدة[1].

وعليه ينبغي أن يؤخذ المفهوم المراد أو المصداق منهم عليهم السلام، وقد وردت الأخبار الشريفة في بيان معانيها، وأكّدت أنّها تشير إلى وقائع عاشوراء ومصيبة الحسين عليه السلام ففي كمال الدين باسناده إلى سعد بن عبدالله القمي عن الحجّة القائم عليه السلام قال: «هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريا عليها، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكريا عليه السلام سأل ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة، فأهبط الله عليه جبرائيل عليه السلام فعلّمه إيّاها، فكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرى عنه همّه،

(١) أُنظر معاني الأخبار: ص٢٣، ح٤؛ تأويل الآيات الباهرة: ج١، ص٣١.

وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم عليهم السلام تسلّيت بأسمائهم من همومي؟ وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصّته فقال : (**كهيعص**) فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه ، والصاد صبره ، فلمّا سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه ، وأقبل على البكاء والنحيب ، وكانت ندبته : إلهي أتفجع خير خلقك بولده ؟ أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه ؟ أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة ؟ إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما؟ ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر، واجعله وارثاً ووصياً، واجعل محلّه منّي محلّ الحسين عليه السلام، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، وافجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك صلى الله عليه وآله بولده،

فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به، وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك»[1] وقريب منه ورد في المناقب عن إسحاق الأحمري، عن الحجّة القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف[2].

ويشير مضمون الحديث إلى عدّة حقائق:

الحقيقة الأُولى: أنّ قضيّة عاشوراء ومصائب الإمام الحسين عليه السلام من الحقائق المقرّرة في عالم الغيب أراد الله سبحانها لها أن تكون مفجعة للقلوب، محرّكة للعقول، ومحفّزة للضمائر، والباب الذي إليه يتوجّه الأولياء والأنبياء فيصلون إلى مقامات عالية من القرب والعبودية لله سبحانه، وأنّ الله سبحانه قدّر أحداثها ووقائعها وقصّها على أنبيائه، ولعلّ الاطّلاع في قوله عليه السلام: «أطلع الله عبده

---

(١) كمال الدين: ص٤٦١، ح٢١؛ تفسير البرهان: ج٥، ص١٠٢، ح٣؛ تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٣٤٩ـ ٣٥٠، ح٣.

(٢) المناقب: ج٣، ص٢٣٧.

زكريا عليها» تمّ عبر المكاشفة أو الإلهام أو الإخبار ونحو ذلك من طرق العلم بالغيب .

ووصف زكريا بالعبد في هذا الحال لا يخلو من إشارة لطيفة إلى أنّ زكريا عليه السلام لمّا ارتقى ووصل مقام العبودية لله سبحانه أطلعه على هذا السرّ الإلهي ، وفي ذلك دلالة على أنّ قضايا عاشوراء وفهم أبعادها وغاياتها وسرّ الحكمة الإلهية فيها لا يدركها إلاّ العباد الصالحون الذين عرفوا الحسين عليه السلام ، وسلّموا لمقاماته المعنوية العالية .

ولعلّ الحكمة في اطلاع الله سبحانه أنبياءه على هذه الواقعة العظمى قبل وقوعها تعود إلى وجوه :

أحدها : أنّ ذلك يفجعهم بالمصيبة ، فيبكون عليه وينحبون ، فيزيدهم أجراً وقرباً من الله سبحانه .

ثانيها : أنّ ذلك يدعوهم إلى تمنّي نصرة الحسين عليه السلام ومواساته فيما ينزل به من مصائب ، وهذا المقام أي النصرة والمواساة يرتقي بالعبد إلى مقامات معنوية عالية يجعله في

رتبة أحبّاء الله وأصفيائه كما تضافر في الأخبار؛ بداهة أنّ قول المؤمن: « ياليتني كنت معك فأفوز فوزاً عظيماً » يرفع من قدر العبد إلى مصاف أنصاره الذين واسوه بدمائهم .

ثالثها: أنّ ذلك يرتقي بالأنبياء إلى مقامات معنوية عالية كمقام التولّي لأولياء الله والتبرّي من أعدائه، أو مقام العبودية لله الذي يفتح عليهم أبواب الافاضات الربّانية في العلوم والمعارف والمناجاة وإجابة الدعوات وغيرها من مراتب لا يبلغونها إلاّ عبر بوّابة الحسين عليه السلام وتذكّره والبكاء عليه .

الحقيقة الثانية: أنّ ذكر أسماء الأربعة من أهل الكساء يوجب زوال الهمّ وانجلاء الكرب، بينما ذكر الحسين عليه السلام يوجب الحزن والبكاء، كما عبّر زكريا عليه السلام بقوله: «خنقتني العبرة»، أي غصّ بالبكاء حتّى كأنّ الدموع أخذت بمخنقه ووقعت عليه البهرة، والبُهر ـ بالضمّ ـ تتابع

النفس من الإعياء[1]، ومنطوقه صريح في أنّ هاتين الحالتين تحصلان بلا اختيار منه، وفيه أكثر من دلالة:

الأُولى: وجود ملازمة بين اسم الحسين عليه السلام وبين الحزن والبكاء، بحيث كلّما يذكر يوجب البكاء، وهذا ما تؤكّده الأخبار التي تنصّ على أنّه عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلاّ بكى[2]، وقد تناقل بين أهل المعرفة، ولعلّه ممّا يشهد به الوجدان أنّ المؤمن إذا كرّر نداء (ياحسين) على لسانه تنحدر دموعه بلا اختيار منه.

الثانية: أنّ حبّ الحسين عليه السلام والتعاطف معه من المركوزات في الضمائر والقلوب، فلا يمكن للمؤمن أن يسمع به إلاّ ويبكي وينكسر من دون اختيار، وهذا المعنى

---

(١) المعجم الوسيط: ج١، ص٧٣، (بهر)؛ مجمع البحرين: ج٣، ص٢٣١، (بهر).

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٠، الباب ٤٩ من أبواب المزار وما يناسبه، ص٣١٨ ح١٢٠٨٤.

مستفاد من بعض الأخبار التي نصّت على أنّ للحسين عليه السلام محبّة مكنونة، كما له حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً ، كما ورد في الحديث النبوي[1].

ومن الواضح أنّ منطوق هذا الحديث ونظائره إخباري يكشف عن الواقع المقدّر، فإنّ الحرارة الحسينية تبقى في القلوب والضمائر ولا تبرد أبداً، وهذه الحرارة هي الوقود الذي يذكي روح الشعائر ويمدّها بالطاقة والقوّة الباعثة على دوامها وتجدّدها مع الأجيال والأزمنة، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى المؤمنين لتستقرّ قلوبهم بها، وإلى المخالفين لإشعارهم بأنّ محاولاتهم المبذولة لمحاربتها أو تحجيمها وبحسب هذا الوعد النبوي لا تصل إلى الغاية .

الثالثة : أنّ ذكر الحسين عليه السلام يوجب استذكار مصائبه ، ولا يمتلك كلّ صاحب عقل وشعور سليم عند سماع

---

(١) مستدرك الوسائل : ج١٠ ، الباب ٤٩ من أبواب المزار وما يناسبه ، ص٣١٨ ، ح١٢٠٨٤ .

مصيبة الإمام الحسين عليه السلام إلاّ أن يشعر بالانكسار ويتحفّز للبكاء ، ومنطوق الحديث ظاهر في الدلالتين الأُوليين، فإنّه عليه السلام لمّا قال: «إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم عليهم السلام تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي» وحينذاك أنبأه تعالى بقضيّة الحسين عليه السلام ووقائع عاشوراء .

الحقيقة الثالثة : أنّه سبحانه لمّا شرح لزكريا عليه السلام تفاصيل الواقعة اعتزل الناس، ولم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، وأقبل على البكاء والنحيب، ولعلّ السرّ في ذلك يعود لوجوه :

أحدها: أنّ قلب زكريا عليه السلام لم يطق هول الفاجعة، ولم يتحمّل بلاءها إلاّ إذا هوّن عليه بالعزلة والانفراد، ويكشف هذا الوجه عن بعض وجوه أفضلية سيّد الشهداء عليه السلام وعلو مقامه ورتبته على زكريا عليه السلام؛ لأنّ ما لا يتحمّل زكريا سماعه أو الاطّلاع عليه جسّده سيّد الشهداء عليه السلام ، وأوقع نفسه الشريفة فيه قربةً إلى الله تعالى .

ثانيها: أنّه أراد أن يتفرّغ للدعاء والعبادة ليرتقي في مراتب القرب الإلهي إلى حدّ العبودية التي تمنحه مقام معرفة الحسين عليه السلام ، وستأتي الإشارة إلى أنّ إحياء ذكرى الحسين عليه السلام والبكاء عليه وتعظيم شعائره لا يحظى به كلّ أحد، بل هو مقام معنوي خاصّ يصطفي الله سبحانه إليه بعض عباده .

ثالثها: أن يتفرّغ لأجل البكاء والندبة على الحسين عليه السلام فينال بذلك مقام الناصر والمعزّي والنادب والمواسي للحسين عليه السلام ولرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا ما يؤكّده قوله في ندبته: «إلهي أتفجع خير خلقك بولده» ثمّ دعا الله سبحانه أن يمنحه ولداً يفجعه به كما يفجع رسول الله صلى الله عليه وآله بولده؛ ليكون مواسياً مقتدياً بهما، وفي ذلك دلالة على أنّ مواساة النبي صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام من الأُمور المطلوبة حتّى لمثل الأنبياء، وهم بهذه المواساة ينالون بها مقامات معنوية عالية فضلا عن الأجر والثواب .

ولمّا استجاب الله له رزقه يحيى، وأعطاه بعض وجوه الشبه بالحسين عليه السلام ليتحقّق لزكريا عنوان المواساة في بعض مراتبها لا جميعها؛ بداهة أنّ ما جرى على الحسين لم يجر على أي نبي أو ولي، ولو جمعت كلّ مصائب الأنبياء وابتلاءاتهم لا تضاهي مصيبة الحسين عليه السلام وابتلائه، والمستفاد من الأخبار أنّ كلّ نبي من أنبياء الله سبحانه واسى الحسين عليه السلام ببعض نوائبه.

وأمّا شباهة يحيى عليه السلام بالحسين عليه السلام فهي أكثر من غيره من الأنبياء كما وردت به الأخبار[1]، ومن موارد الشباهة أنّهما ولدا لستّة أشهر[2]، وأنّ الله سبحانه سمّاهما بنفسه، فقال في يحيى عليه السلام: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾[3] وقال

(١) أُنظر بحار الأنوار: ج١٤، ص١٦٨، ح٧؛ قرب الاسناد: ص٤٨.
(٢) الاحتجاج: ص٢٣٩؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٣، ح١.
(٣) سورة مريم: الآية ٧.

في الحسين عليه السلام على لسان جبرئيل: إنّي سمّيته الحسين[1]، وأنّهما لم يرتضعا من الثدي غالباً، فيحيى أُرضع من السماء، والحسين عليه السلام أُرضع من العرش العظيم أي لسان النبي صلى الله عليه وآله[2]، وإنّ قاتليهما ولدا زنى[3]، وإنّ السماء والأرض بكتا عليهما دماً[4]، وأنّ رأسيهما تكلّما بعد القتل، فرأس يحيى قال للملك: اتّق الله[5]، ورأس الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن من فوق الرمح في مواطن عديدة، وسمع منه قول: «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[6]، وإنّ

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٤٩، ح٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٥٠؛ علل الشرائع: ج١، ص٢٠٥.

(٣) كامل الزيارات: ص٧٨؛ تأويل الآيات الباهرة: ج١، ص٣٠٢، ح٣؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٠٣، ح١٤.

(٤) كامل الزيارات: ص١٨٤، ١٤؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١١، ح٢٦.

(٥) بحار الأنوار: ج١٤، ص٣٥٧ـ٣٥٨، ح١.

(٦) أُنظر الخصائص الحسينية: ص٤٩٩.

كليهما قتل صبراً[1].

ولذا كان الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء يذكر يحيى عليه السلام في كلّ منزل، ويشرح بعض مصائبه، خصوصاً وصف قاتله وإهداء رأسه إلى بغي من بغايا بني اسرائيل، ولعلّه عليه السلام أراد أن يؤكّد وقوع هذه المصيبة عليه لتكون حجّة على القاصي والداني ، وإنّ الحسين عليه السلام استجاب لما قدّره الله سبحانه له، أو أراد الإشارة إلى أصعب المصائب التي يبتلى بها الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وهي شماتة الأعداء، ولعلّ من هنا أوصى عليه السلام أُخته بعدم البكاء أو شقّ الجيب عليه وقت قتله ، لكي لا يشمت به الأعداء[2].

وفي الخصائص الحسينية : إنّ الحسين عليه السلام كان يذكر قتل

---

(١) الاحتجاج: ج٢، ص٣٢ ؛ مناقب آل أبي طالب: ج٣ ، ص٢٦١ ؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٣ ؛ شجرة طوبى: ج١، ص١٢٢ ؛ وانظر بحار الأنوار: ج١٤، ص١٨١، ح٢٠ ؛ و ص٣٥٧ـ٣٥٨، ح١ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٣ .

يحيى عليه السلام في كلّ منزل ، ويذكر بالخصوص إهداء رأسه ، ولو تأمّلت بعين البصيرة وجدت ذلك أصعب مصيبة ، فإنّ شماتة العدو من بُعد أعظم المصائب، ورؤية العدو شامتاً وأنت في حال الضعف يكون أعظم، فكيف تكون المصيبة برؤية الرأس مقطوعاً موضوعاً بين يدي العدو يقلّبه كيف يشاء كما اتّفق ذلك لإمامنا المظلوم؟ وقد صعب ذلك على النبي صلى الله عليه وآله بالخصوص، فدعا على من نظر إلى رأس الحسين عليه السلام وفرح بذلك[1].

وأمّا ما انفرد به الحسين عليه السلام من المصائب وفاق به مصائب يحيى عليه السلام فهو كثير لا يسع المجال لعدّه وشرحه[2].

ويتحصّل من كلّ ما تقدّم: أنّ قضيّة الحسين عليه السلام

---

(١) الخصائص الحسينية : ص٤٩٩ « بتصرّف » ؛ وانظر مقتل الحسين (للخوارزمي) : ج١، ص١٦٤ ؛ مثير الأحزان : ص١٨ ؛ بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٤٨ ، ح٤٥ .

(٢) أُنظر الخصائص الحسينية : ص٥٠١ ـ ٥٠٣ .

وعاشوراء لم يكتف الباري عزّ وجلّ بشرحها لأنبيائه وإبكائهم عليها واحضارهم إلى كربلاء لتجري دماؤهم مواساةً لدمه ، بل أشاد بها وذكرها في القرآن الكريم لتتلى على مسامع الناس، وتقرع قلوبهم صباحاً ومساءً إلى يوم القيامة، وفي ذلك حكمة بالغة تدلّ على أنّ مصيبة الحسين عليه السلام هي حقّ الله وكرامته وثأره، ولا يريد الباري جلّ وعلا لحقوقه أن تضيع، ولا لكرامته أن تهتك، ولا لثأره أن ينسى، ومعنى ذلك الزام الناس باستذكار عاشوراء واستشعارها وإحيائها وارادتها بالارادتين التشريعية والتكوينية، ولا يخفى ما في ذلك من إشارة إلى أنّ ذكر الحسين عليه السلام باق إلى يوم القيامة، وعبثاً يحاول الطغاة والظالمون والفرق الضالّة أن تحاربه، أو تسعى لإطفاء نوره.

الخصوصيّة الرابعة

أنّه قتيل الله وابن قتيله

وقد ورد هذا الوصف عن أبي عبدالله عليه السلام في رواية يونس بن ظبيان التي رواها المشايخ الثلاثة (قدّس سرّهم) في الكافي والفقيه والتهذيب، ورواها ابن قولويه قدس سره في الكامل؛ إذ قال يونس للإمام عليه السلام : إنّ قلبه يخفق عندما يتذكّر الحسين عليه السلام ويهوي إليه، وعندما رأى الإمام عليه السلام منه هذه القابلية والاستعداد النفسي للمعرفة فتح له باباً من السرّ الإلهي في الحسين عليه السلام فعلّمه أن يقول: «السلام عليك ياأبا عبدالله » يكرّرها ثلاثاً ، ثمّ قال له :

«إذا أردت زيارة حرمه الشريف فاغتسل، ثمّ البس

ثيابك الطاهرة، ثمّ امش حافياً فإنّك في حرم الله ، وأكثر من التكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله والصلاة على محمّد وأهل بيته حتّى تصير إلى باب الحائر، ثمّ امش حتّى تأتيه من قبل وجهه، واستقبل وجهك بوجهه، وتجعل القبلة بين كتفيك، ثمّ تقول :

السلام عليك ياحجّة الله وابن حجّته... ثمّ قل: السلام عليك ياقتيل الله وابن قتيله، السلام عليك ياثار الله وابن ثاره، السلام عليك ياوتر الله الموتور في السماوات والأرض. أشهد أنّ دمك سكن في الخلد، واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق ... »[1].

ونلاحظ أنّ الفقرة المباركة من الزيارة تدرّجت في السلام من العام إلى الخاصّ، فالسلام العام «السلام عليك ياحجّة

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ ؛ تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص٥٥ ، ح١٣١ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ .

الله وابن حجّته» فإنّ هذا السلام يشترك فيه الأئمّة والصدّيقة الطاهرة؛ إذ كلّهم حجج الله، إلاّ أنّ قوله: «قتيل الله وابن قتيله» سلام خاصّ لم يشارك الإمام الحسين عليه السلام فيه أحد من الأنبياء والأولياء حتّى والده.

ونسبة القتيل لله سبحانه تعود لثلاثة معان:

الأوّل: أنّها نسبة تشريفية، وهذه نسبة عامّة تثبت لكلّ من قتل في سبيل الله.

والثاني: أنّها نسبة مجازية توسّطية، وتطلق على كلّ من قتل لأجل إعلاء كلمة الله.

والثالث: أنّها نسبة حقيقية واقعية تطلق على من أمره الله سبحانه بأن يكون قتيلا لأجله، وهذه أعلى رتبة وأرقى منزلة، وهي خصوصية امتاز بها الإمام الحسين عليه السلام على سائر الخلق؛ إذ إنّ شهادته جاءت استجابة لأمر الله سبحانه له بأن يقتل ويذبح ويلاقي من المصائب والابتلاءات ما يهدّ الجبال الرواسي.

كما كشف ذلك قوله عليه السلام لما قال له بعض أهله وأرحامه أن لا يخرج إلى كربلاء قال: «شاء الله أن يراني مقتولا »[1] وقد ورد في الصحيفة السماوية التي أنزلها جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وتوارثها الأئمّة عليهم السلام أنّها عيّنت لكلّ إمام تكليفه الإلهي، وكان تكليف الإمام الحسين عليه السلام أن يقتل في سبيله سبحانه؛ إذ خاطبه الباري عزّ وجلّ: «واشتر نفسك لله عزّ وجلّ»[2].

ولّما أمر الله سبحانه إبراهيم أن يذبح ولده وسلّما وتلّه للجبين خاطبه سبحانه بأن يكفّ عن الذبح، لأنّه فداه بذبح عظيم[3]، وقد ورد في بعض الأخبار المعتبرة أنّه الإمام الحسين عليه السلام ، فإنّ مصابه أوجع لقلوب الأنبياء، وأقرب

(١) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٣٣١ ؛ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) : ص١٨١ ؛ لواعج الأشجان : ص٣١ .

(٢) أُنظر أمالي الصدوق : ص٣٢٧ ـ ٣٢٨ ؛ بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص١٩٢ ، ح١ ؛ الأيّام الحسينية : ص٨٣ ، خامس الأيّام .

(٣) إشارة إلى الآيات ١٠٢ ـ ١٠٧ من سورة الصافات .

وسيلة في القرب وعلو الدرجات[1]، فسمّي إسماعيل بذبيح الله لأنّ الله سبحانه أمر بذبحه .

ولا شكّ في أنّ هذا الوصف «قتيل الله وابن قتيله » لم يتّصف به أحد في عالم الخليقة من أقصاه إلى أدناه حقيقة، ولا أعطته السماء لشخص غير الإمام الحسين عليه السلام ، فكما أنّ الإمام الحسين عليه السلام قتيل الله فهو ابن قتيله أيضاً، كما أنّه ثار الله وهو ابن ثاره أيضاً، وفي هذا التعبير إشعار بكمال الخلوص لله سبحانه، وعلى هذا الأساس اتّصف بوصف خاصّ آخر وهو أنّه «وتر الله الموتور في السماوات والأرض» والوتر بالكسر الفرد الذي لا ثاني له، وبالفتح الثأر ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه[2]، والنسبة إلى الباري عزّ وجلّ ثلاثية أدناها التشريف،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١ ، ص١٨٧ ، ح١ .

(٢) القاموس المحيط : ص٤٥٦ ، (وتر) ؛ مجمع البحرين : ج٣ ، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩ ، (وتر) .

وأعلاها النسبة الحقيقية كما مرّ في نسبة القتل إليه، والنصّ يدلّ على أنّ دم الحسين عليه السلام عليه وثأره لم يطلب به بعد لا في الأرض ولا في السماء، وفي ذلك إشارة إلى حقيقتين:

الحقيقة الأُولى: أنّ الله سبحانه يطلب بثأره، وقد حدّد له موعداً يظهره على يد مولانا المهدي عجّل الله تعالى فرجه؛ لأنّه الطالب بدم المقتول بكربلاء والمنتصر له.

الحقيقة الثانية: أنّ على المؤمن أن يسعى بما أُوتي من جهد وقوّة وقدرة على المطالبة بهذا الثأر؛ لأنّه مسؤول عن هذا الدم وهذه الفجيعة، وللمطالبة به مظاهر وأساليب من أجلاها نصرته بالقول والعمل، وإحياء ذكره، والمطالبة بحقّه، والحزن والبكاء عليه، ومواساته بالدمع والدم، وفضح قاتله ومحاربته، وافشال خططه ومنهجه، ولعلّ من علائم بقاء هذا الوتر موتوراً لم يطلب بدمه بعد قوله عليه السلام: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد، واقشعرّت له أظلّة

العرش »[1].

وهذا وصف خاصّ لم تخلعه السماء على أحد من الأنبياء والأولياء، وهو يلفت النظر إلى حقيقة وهي: أنّ القاعدة العامّة تقتضي أن يقول: «إنّ روحك سكنت الخلد» لأنّ الروح هي التي تعود إلى بارئها وتخلد في نعيمه، إلاّ أن يحصل استثناء عن القاعدة، وتتخصّص بعناية إلهية خاصّة فتنقلب الموازين، كما استثنيت القاعدة في النار فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وانقلب الميزان فصارت النار برداً والمتلف المحرق برداً وسلاماً، وهذا ما حدث في الإمام الحسين عليه السلام ؛ إذ إنّ دمه سكن في الخلد، فلابدّ وأن تكون روحه فوق الخلد .

ولا غرو في ذلك؛ لأنّه نور الله ووجهه، وفيه إشارة

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ ؛ تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص٥٥ ، ح١٣١ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ .

لطيفة إلى أنّ ما يؤدّيه المؤمن من عزاء وبكاء وإحياء لشعائره هو تخليد للدم، فلذا لابدّ وأن يكون إحياء الشعائر بنحو يتناسب مع حرارة الدم وقوّة الثأر فيه، وذلك لا يتحقّق إلاّ بالشعائر الفدائية التضحوية، وأمّا الشعائر الإحيائية بالفكر والثقافة ونحوها فلها شأن ودور آخر، وذلك لأنّ هذا الدم اقشعرّت له أظلّة العرش، فكيف لا تقشعرّ له الأبدان والأرواح والقلوب وتهتزّ له الضمائر ؟

وقوله: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد»[1] يتضمّن ضرورة الإقرار والإذعان لهذه الحقيقة، ولا يكفي فيها مجرّد الالتزام العملي، أو الإذعان العقلي الناشئ من الدليل والبرهان المنطقي الخاضع لقواعد العلم الحصولي؛ لأنّ المسألة ترجع إلى الشهادة والشهود، وهي لا تتحقّق إلاّ

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ ؛ تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص٥٥ ، ح١٣١ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ .

بالحضور الحسّي والشهود القلبي اليقيني، ولذا يعدّ الإذعان لهذه الحقيقة من مراتب العارفين بالإمام عليه السلام، وهي تفوق رتبة المعتقدين بالإمام أو الموالين له؛ لأنّ المسألة تتجاوز الدليل والبرهان، بل تدخل في مراتب الشهود القلبي الذي يصل إلى مرتبة حقّ اليقين وعين اليقين . هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ معنى سكنى الدم في الخلد لممّا يحيّر الألباب، وهو يحتمل معنيين :

أحدهما: أن يراد به سكن الدم الحقيقي لسيّد الشهداء عليه السلام ، وهو الدم الذي رماه سيّد الشهداء بعد أن انشعب قلبه بالسهم المثلّث ، وخرج دم قلبه الشريف فأخذه ورماه إلى السماء ولم تسقط منه قطرة[1]، أو هو كلّ دمه الذي أُريق ، فقد جمعه رسول الله أو جمعته الملائكة في قوارير

(١) مقتل الخوارزمي : ج٢ ، ص٣٤ ؛ تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٣٨ ؛ مقتل المقرّم : ص٢٧٩ .

ورفعته إلى السماء كما دلّت على ذلك الروايات الكثيرة[1] أو هما معاً ؛ إذ لا تنافي بين الأمرين .

ثانيهما: أن يراد به المعنى المجازي الناشئ من علاقة السببية بين الدم والثأر، فإنّ العرب تطلق على الثأر لفظ الدم باعتبار أنّه سبب له، وعليه يكون المعنى أنّ ثأره محفوظ عند الباري عزّوجلّ حتّى يأخذ به عبر وليّه القائم عجّل الله تعالى فرجه، أو عبر الانتقام له بألوان الانتقام المادّي والمعنوي، أو بهما؛ إذ لا مانع من الجمع، وهذا ما يقرّبه وصفه عليه السلام: «ثأر الله وابن ثأره»[2]، والمعنى الأوّل أظهر، بل موافق للقواعد والأُصول؛ لأنّ الأصل هو حمل الألفاظ على المعاني الحقيقية ، وحملها على المعنى المجازي يفتقر إلى قرينة ، ويمكن الجمع بين المعنيين؛ لما عرفت من

---

(١) تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٤٠ ؛ الخصائص الكبرى : ج٢ ، ص١٢٦ ؛ تاريخ الخلفاء: ص١٣٩ ؛ مقتل المقرّم : ص٢٩١ .

(٢) مصباح المتهجّد : ص٧٢٠ ؛ كامل الزيارات : ص٣٢٨ ، ح٩ .

أنّ سكنى الدم ملازمة لسكنى الثأر ؛ لأنّ الدم سبب له .

وأمّا الخلد فيمكن أن يقرأ بضمّ الخاء وسكون اللام وهو تبرّي الشيء عن اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، ولذا وصفت الجنّة بدار الخلد ، لأنّ نعيمها دائم ، ووصف أهلها بالمخلّدين لأنّهم لا يموتون، وخدمها بالأولاد المخلّدين لأنّهم لا يستحدثون ولا يهرمون، ويبقون على سنّ واحدة[1].

ويمكن أن يقرأ بالتحريك أي (الخَلَد) وهو البال، أي الخاطر ومحلّه القلب. يقال وقع في خلدي كذا أي في خاطري وقلبي[2].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ص٢٩١ ، (خلد) ؛ القاموس المحيط : ص٢٦٨ ، (خلد) .

(٢) مجمع البحرين : ج٣ ، ص٤٤ ، (خلد) ؛ وانظر لسان العرب : ج١١ ، ص٧٤ ، (بول) .

وسكنى الدم في الخلد على القراءة الأُولى ظاهر في بقائه حياً أبداً في عالم الملكوت حتّى يأخذ الله سبحانه بثأره وترته، وهذا ما يؤيّده السياق، ووصفه عليه السلام بثأر الله وأنّه الوتر الموتور، ويظهر من عبارة بعض الأعاظم أنّه فسّر الخلد بالجنّة، وهو حمل للفظ المطلق على الفرد الخاصّ بلا مخصّص[1] وأمّا القراءة الثانية فظاهرة في بقائه في خواطر الناس يغلي، ويشدّ فيهم الحماس لإحيائه والمطالبة بثأره، فلا ينسيه الزمان، ولا تغيّره السياسة ولا طوارق الحدثان.

والفقرات السابقة واللاحقة لقوله: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد»[2] تقوّي المعنى الأوّل؛ لأنّ أظلّة العرش التي اقشعرّت له من عالم الملكوت لا عالم الملك، ولذا

(١) مقدّمة في أُصول الدين (رسالة للشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه منهاج الصالحين): ج١، ص٣٦٥.

(٢) الكافي: ج٤، ص٥٧٦، ح٢؛ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٩٥، ح٣١٩٩؛ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٥، ح١٣١؛ كامل الزيارات: ص٣٦٤، ح٢.

وصفه بقتيل الله وثأره ووتره الموتور، ويعزّزه الظهور التبادري، ولا تنافي بين الأمرين؛ لأنّ خلوده في السماء ملازم لخلوده في الأرض، فإنّ الله سبحانه إذا أراد إبقاء هذا الدم الطاهر حياً فائراً يبقيه في العالَميْن؛ لأنّ عالم الملك رتبة من مراتب عالم الملكوت، أو هو مظهر من مظاهره أو معلول له ـ على اختلاف الآراء والاحتمالات ـ فإذا خلد الدم في العالم الأقوى يخلد في العالم الأضعف؛ للملازمة بين العالَميْن.

وعليه فإنّ خلود الدم في خواطر الخلق هو خلود له في العالم الآخر، وخلوده هناك خلود هنا أيضاً. ويبقى معنى (سكن) إذ يمكن أن تقرأ بصيغة المصدر فتكون النون منوّنة ومفاده أن يكون الدم سبباً للسكينة في خلد العالم الأعلى، وفي خلد الأرواح والقلوب المؤمنة، ويمكن أن تقرأ بصيغة الفعل الماضي وهي المشهورة، ومعناه الاستيطان، وعلى قراءة المصدر يكون دمه عليه السلام سبباً لاستقرار العالم الأعلى

من الانهيار والتحطّم بسبب ما ألمّ بحجج الله سبحانه وأركان الوجود من ظلم وأذى وانتهاك للحرمة، وهو ما يقرّه العقل؛ لأنّ حجم التأثّر يعود إلى حجم المعرفة ومستواها، وأهل السماء أكثر معرفة بحقيقة الإمام الحسين عليه السلام ومقامه من أهل الأرض، كما يتوافق مع النصوص المتضافرة الدالّة على أنّ ثبات الأرض والسماء وجميع العوالم بهم عليهم السلام، ولولاهم لساخت الأرض والسماء، فبقاء الدم في ذاك العالم صار سبباً لاستقراره باعتبار أنّ بقاء دمه هو بقاؤه، أو باعتبار العناية الإلهية واللطف؛ لأنّه سبحانه قدّر لهذا الدم أن يؤخذ بثأره في أجل محتوم لولي هذا الدم، وهو خاتم الحجج وحبيب المهج عجّل الله تعالى فرجه.

وعلى القراءة المشهورة يكون سبباً لاستقرار نفوس المؤمنين العارفين؛ إذ لولا ذلك لزهقت ألماً وحسرة عليه، وهذا ما يشير إليه قول حجّة الله الأعظم: «حتّى أموت

بلوعة المصاب وغصّة الاكتئاب»[1] وفي حديث أبي ذرّ: «حتّى تزهق نفوسكم من شدّة الحزن والعزاء للوعد بالفرج وأخذ الثأر»[2] وهذا يتوافق مع منطوق الحديث الشريف: «إنّ لقتل الإمام الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»[3] أو سبباً لاستقرار نفوس سائر الناس كأثر تكويني يوجب بقاءها في أبدانها؛ لأنّها جزء من عالم الوجود الذي أقرّه الباري ولم يهدم توازنه لدى قتل الحسين عليه السلام ببركة بقاء دمه في السماء وفي الأرض، وهو سبب لاستقرار نفوس المحبّين الموالين له وعدم انحرافهم عن جادّة الحقّ والصواب، فإنّ أهل الإيمان مهما انحرفوا فإنّ دم الإمام الحسين عليه السلام يهديهم ويعيدهم إلى الطاعة، وهذا ما يشير

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٩، ح٣٨؛ وص٣٢٠، ح٨.

(٢) أُنظر كامل الزيارات: ص١٥٤، ح١٥.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٠، الباب ٤٩ من أبواب المزار وما يناسبه، ص٣١٨، ح١٣.

إليه الحديث الشريف: «إنّ الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»[1] وممّا يزيدها دلالة أنّ هذا النصّ الشريف مكتوب على ساق العرش ما يدلّ على أنّ اهتداء الناس ببركة دم الحسين عليه السلام قضية سارية مع الزمن لا تنقضي ولا تنتهي، وفي ذلك دلالة كبيرة على أهميّة عاشوراء وشعائرها في هداية الناس وإصلاح شؤونهم الدينية والدنيوية.

وكيف كان، فإنّ لهذا الدم من المقام والرتبة ما لا يعرفه إلاّ الله سبحانه، ولذا اقشعرّت له أظلّة العرش، والقشعريرة تطلق على معان:

منها: الرعدة التي تصيب الجلد.

ومنها: الانقباض والتحسّر والغم.

ومنها: الخشونة.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٦٢؛ بحار الأنوار: ج٣٦، ص٢٠٥، ح٧؛ بحار الأنوار: ج٩١، ص١٨٤، ح١.

ومنها: تغيّر اللون[1].

والجميع يرجع إلى معنى واحد وهو التأثّر الذي يصيب الشيء جرّاء طرو الأمر العظيم رهبة أو خشية أو حزناً.

والقشعريرة من صفات المؤمنين العارفين؛ لأنّها لا تحصل إلاّ عن معرفة وإيمان بالحادث عادة، وأمّا أهل البدع وأتباع الشيطان فلا تصيبهم قشعريرة عند حدوث آيات الله سبحانه والأُمور العظيمة، بل يصابون بالغشيان أو ذهاب العقول أو الصدمة والذهول، ولذا وصف الباري المؤمنين في القرآن بأنّهم إذا سمعوه تقشعرّ جلودهم؛ إذ قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾[2].

---

(١) القاموس المحيط: ص٤٣٠، (اقشعرّ)؛ مجمع البحرين: ج٣، ص٤٥٨، (قشعر)؛ المنجد: ص٦٣٠، (اقشعرّ)؛ المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٣٦، (اقشعر).

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

والانقباض وتغيّر اللون والخشونة مظاهر لهذا التأثّر؛ لأنّ التأثّر في الأشياء يظهر عليها بأنحاء مختلفة تتناسب مع طبائعها وحالاتها ومستويات إدراكها، فمثلا تأثّر السماء يوجب تغيّر لونها، وتأثّر الملائكة يوجب انقباضها وتحسّرها، وتأثّر الحجر ونحوه يوجب خشونته، وربما تجتمع هذه الصفات في الشيء الواحد كالإنسان، فإنّ تأثّره يظهر عليه بتغيّر لونه وبانقباض قلبه وروحه وظهور الضعف والأمراض على جسده وواضح أنّ المقصود بالقشعريرة هنا هو التحسّر والغم المعنوي من أثر الفاجعة .

وأمّا « أظلّة العرش» فلها أكثر من معنى :

الأوّل: كلّ ما سوى الله سبحانه من الخلائق، فإنّ العرش كناية عن قدرته، وكلّ ما يقع تحت القدرة يعبّر عنها بأظلّة العرش؛ لأنّها خاضعة له كما يستفاد من بعض الأخبار[1].

---

(١) أُنظر مجمع البحرين : ج٣ ، ص١٥١ ، (عرش) .

وفي حديث زينب العطّارة: «وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة»[1] والظل في اللغة يطلق على معان:

منها: الكِنّ، فظلّ الشيء كنّه وهو مستقرّه ومأواه.

ومنها: الغشاء الذي يغطي الشيء. يقال أظلّني الشيء أي غشيني، والظلّة الشيء يستتر به من الحرّ والبرد، وفي الحديث: «السلطان ظلّ الله في الأرض»[2] لأنّ سلطته تمتد على الأرض وتغشاها، وبها يدفع الظلم والأذى عن الناس، وربما يخصّص بكلّ ما يستر من فوق، والجمع ظلل وظلال.

ومنها: الدنو والقرب. يقال أظلّك فلان أي كأنّه ألقى عليك ظلّه من قربه، وأظلّك شهر رمضان أي دنا منك

---

(١) الكافي: ج٨، ص١٥٤، ح١٤٣؛ التوحيد: ص٢٧٧، ح١.

(٢) الأمالي (للطوسي): ص٦٣٤؛ عوالي اللآلئ: ج١، ص٢٩٣، ح١٧٦؛ بحار الأنوار: ج٧٢، ص٣٥٤، ح٦٩.

وقرب، وفي الحديث: «الجنّة تحت ظلال السيوف»[1] أي دنوّها واقترابها من الجهاد في سبيل الله، فإنّ الشهيد في الجهاد يطوي جميع مراحل البرزخ، ويحشر إلى الجنّة حي يرزق.

ومنها: الخيال من الجنّ وغيرها حتّى يرى .

ومنها: العزّ والمنعة. يقال فلان في ظلّ فلان أي في داره وكنفه أو تحت قدرته ونفوذه[2].

وقد عرفت أنّ الموارد المذكورة ليست معاني متباينة ، بل ترجع في جوهرها إلى جامع واحد، وهو كلّ ما يغطّي الشيء ويدفع عنه الأذى ونحوه ، وسائر المعاني مظاهر له أو ملازمة له ، فإنّ الشيء إذا أظلّ غيره كان له مأوى

---

(١) مسند زيد: ص٤٩٢ ؛ مستدرك الوسائل: ج١١ ، الباب ١ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه ، ص١١ ، ح١٥ ؛ بحار الأنوار : ج٣٣ ، ص١٤ ، ح٣٧٥ ؛ جامع أحاديث الشيعة: ج١٣ ، ص١٤ ، ح٢٩ .

(٢) أُنظر القاموس المحيط : ص٩٤٦ ، (الظل) ؛ لسان العرب : ج١١ ، ص٤١٧ ـ ٤١٩ ، (ظلل) .

ومستقرّاً، وهو لا يتحقّق إلاّ بالدنو والقرب منه، وبه يكون في عزّ الظلّ ومنعته، وبه يكون ظهور شخصه بنحو الخيال لقلّة الضوء في الظل أو احتجابه .

وعليه يكون معنى أظلّة العرش جميع الخلائق، فإنّها اقشعرّت لدم الإمام الحسين عليه السلام وأصابها من الحزن ما أصابها، وهذا الحزن تكويني فطري كما عرفت .

الثاني: عالم المجرّدات في مقابل المادّيات كالأرواح قبل الأبدان والملائكة وأرواح الجنّ ونحوها، وقد سمّيت بالظلّ لأنّها موجودات كالظلّ، وفي الحديث: «أنّ الله خلق الخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثمّ بعثهم في الظلال »[1].

وقال بعض الشارحين : المراد من الخلق خلق التقدير لا خلق التكوين، ومعناه أنّ الله سبحانه قدّر أبداناً مخصوصة

---

(١) الكافي: ج١، ص٤٣٦، ح٢؛ علل الشرائع: ج١، ص١١٨، ح٣.

من الطينتين، ثمّ كلّف الأرواح فظهر منها ما ظهر، ثمّ قدّر لكلّ روح ما يليق بها من تلك الأبدان المقدّرة، ولمّا لم تصل أذهان أكثر الناس إلى إدراك الجواهر المجرّدة عبّرواعليهم السلام عن عالم المجرّدات بالظلال؛ لفهم قصدهم من ذلك أنّ موجودات ذلك العالم مجرّدة عن الكثافة الجسمانية ، كما أنّ الظلّ مجرّد عنها، فهو شيء لا كالأشياء المحسوسة الكثيفة، فيكون وزانه وزان قولهمعليهم السلام في معرفة الله سبحانه: «والله شيء لا كالأشياء»[1].

وواضح أنّ محلّ هذه الموجودات هو العرش قارّةً في ظلّه، فيقال لها أظلّة العرش، وعلى هذا يكون معنى قوله: « اقشعرّت له أظلّة العرش»[2] أنّ كلّ الخلائق المستقرّة في العرش قبل أن ترد إلى الدنيا حزينة مرتعدة لدم الإمام

---

(١) مجمع البحرين : ج٥ ، ص٤١٧ ، (ظلل) .

(٢) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ .

الحسين عليه السلام، فكيف ينبغي أن تكون حالة من ورد الدنيا وأدرك هذه الحقيقة؟ وربّما يراد بها الملائكة والأرواح المقدّسة الخاصّة؛ لأنّها تطوف حول العرش كما في جملة من النصوص[1]، والمعنى ظاهر.

الثالث: ما فوق العرش أو أطباقه وبطونه، فإنّ الأظلّة جمع ظلال، وهو ما أظلّك من سقف أو غيره، والمراد من الأوّل الأظلّة التي تظلّل العرش وتعلوه مكانة وقدرة، وهي النفوس الطاهرة لمحمّد وآل محمّد ومن نال مقام الخلّة والحبّ، والمراد من الثاني نسبة الأظلّة إلى ذات العرش كأطباقه، وإنّ كلّ طبقة وبطن من العرش هي ظلّ لطائفة أو أجزاء العرش؛ إذ كلّ جزء منه ظلّ لمن يسكن تحته[2].

وعلى هذا تكون الاضافة بيانية، وهو أقوى ظهوراً من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١٣، ص١٦٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٧، ص٤٢١.

(٢) أُنظر مرآة العقول: ج١٨، ص٢٩٩، (بتصرّف).

الأوّل، ويعضده ما ورد في زيارته الشريفة الواردة عن ابن أبي نصر عن الرضا عليه السلام، ويزار بها في أوقات فضيلة هي ليلة الأوّل من رجب ويومه والنصف من رجب والنصف من شعبان وليلته. يقول عليه السلام: «ياأبا عبدالله أشهد لقد اقشعرّت لدمائكم أظلّة العرش مع أظلّة الخلائق»[1] والعطف يقتضي المغايرة، وحيث إنّ لفظ الخلائق يشمل كلّ ما سوى الله سبحانه تختصّ أظلّة العرش بما كان في أطباقه وبطونه، وحصول القشعريرة في العرش كناية عن عظم المصيبة أو شدّة غضب الله سبحانه على المنتهكين لحرمة هذه الدماء الطاهرة، أو عن شدّة الحبّ والعناية الإلهية بها .

وإلى هذا القول يرجع قول من فسّر الأظلّة بأنوار العرش[2]، فإنّ أصل خلقتها فتق من نور الله سبحانه،

---

(١) إقبال الأعمال : ج٣ ، ص٣٤٢ ؛ المزار (للشهيد) : ص١٤٤.

(٢) أُنظر مجمع البحرين : ج٥ ، ص٤١٧ ، (ظلل) .

وقبل أن يتقرّر في عالم الدنيا يمرّ بثلاثة عوالم هي: عالم الأظلّة ثمّ عالم الأشباح ثمّ عالم الذرّ، وهي مراتب وجودية طولية تمرّ بها قبل أن تخلق لها الأبدان، فعالم الأظلّة تقدّر فيه الأرواح في علم الخالق عزّ وجلّ، ثمّ تتشخّص وتتميّز حقائقها وهو عالم الأشباح، ثمّ تقدّر لها الأجساد وهو عالم الذرّ.

وفي حديث الصادق عليه السلام «أنّ الله آخى بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت عليهم السلام ورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلّة ولم يورث الأخ في الولادة»[1].

وفي حديث المفضّل سئل الصادق عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: «يامفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٥٢، ح٥٧٦١؛ الاعتقادات في دين الإمامية: ص٤٨؛ مختصر بصائر الدرجات: ص١٥٩.

أحد غيرنا في ظلّة خضراء نسبّحه»[1].

ويظهر من بعض الأخبار أنّ اختبار الخلق تمّ بحسب امتحان إلهي خاصّ لا نعرفه أو بحسب التقديرات الإلهية الناشئة من العلم بإرادة المخلوقات وميولهم الاختيارية، ثمّ في ذلك العالم وعلى ضوئها قرّرت الحقائق، وفي الحديث في تحديد المخالفين للأئمّة عليهم السلام ورد: «لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم - أي الأئمّة عليهم السلام - إلاّ من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلّة »[2].

ومن الواضح أنّ هذا المعنى يعود إلى الثاني كما أنّ الثاني يعود إلى الأوّل، فإذا لا توجد قرينة توجب حمل المعنى عليه بالتخصيص فيكون المعنى بالأوّل هو المتعيّن لوجود

---

(١) الكافي : ج١ ، ص٤٤١ ، ح٧ .

(٢) الكافي : ج٨ ، ص٦ ، ح١ ؛ شرح أُصول الكافي : ج١١ ، ص١٦٩ ، ح١ .

المقتضي وانعدام المانع .

والظاهر أنّ السياق يفيد القرينة على التخصيص؛ لأنّ الفقرة التالية لقوله عليه السلام: «واقشعرّت له أظلّة العرش» تقول: «وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن يتقلّب في الجنّة والنار من خلق ربّنا وما يرى وما لا يرى»[1] وهي دالّة على أنّ الاقشعرار لم يصب الخلائق بعد وجودها الدنيوي، بل قبل وجودها كذلك وبعد انتقالها إلى ذلك العالم ثانية، وواضح أنّ بكاء أظلّة العرش ملازم لبكاء العرش ذاته واقشعراره، وهذا ما تؤكّده الأحاديث الدالّة على أنّ دم الإمام الحسين عليه السلام صبغ العرش وكتب على ساقه أنّه مصباح هدى وسفينة نجاة[2].

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ .

(٢) أُنظر عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج٢ ، ص٦٢ ؛ بحار الأنوار :

وهذا التفصيل الذي ذكره الإمام عليه السلام في التأثّر يدلّ على مدى الانقلاب الحاصل في عالم الخلق والتكوين لأجل دم الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الموضع من الحديث ممّا يحتار به النابه الفطن، وكذا المتتبّع للنصوص والأخبار، ولعلّه من الكلام الذي يتضمّن لطائف وإشارات إلى الخواصّ وليس إلى عموم الناس .

ومن هنا قال بعض الأعاظم ـ كما في ترجمة محاضرته ـ إنّ هذا الموضع من حديث الإمام عليه السلام يدخل في الاعجاز ، كإعجاز شقّ القمر في العلم والمعرفة لمخاطبيه من أهل الفقه الأكبر[1].

فعندما يعرّف الإمام الصادق عليه السلام الحسين بن علي عليهما السلام بدمه لا بنفسه يكون غرضه تفهيم المخاطبين بأنّ من يقصر

ج٣٦، ص٢٠٥ ، ح٧ .

(١) الفقه الأكبر يعبّر به عن علوم العقائد والمعارف الإلهية في مقابل الفقه الأصغر وهو الفقه والمعرفة بالأحكام الفرعية .

البيان عن تعريف دمه فكيف يمكن درك روحه والاحاطة بها؟ وفي أي مرتبة وأي درجة يكون صاحب الدم نفسه من قوس الصعود حتّى قوس النزول؟ إنّ قول الإمام الصادق عليه السلام ينصّ على أنّ أهل الجنّة يبكون لهذا الدم وأهل جهنّم كذلك يبكون لهذا الدم، إذاً فكما تغيّر الصعود وانقلبت أحواله فإنّ النزول كذلك. لقد اضطرب الوجود كلّه أمام هذا الدم من أعلى قمّة الصعود إلى أدنى حضيض النزول ، فأيّة ضجّة هذه وأي زلزال ؟

بل ما كان الإمام الصادق عليه السلام ليكتفي بهذا القدر ، وإثر ذلك جاء بعبارة «ما يرى وما لا يرى» حتّى يعلم من قدّر الله له ورزقه فهمها أنّ الإمام عليه السلام ذكر أنّ كلّ شيء يمكن رؤيته بكى لدم الحسين عليه السلام وكلّ ما لا يمكن رؤيته بكى أيضاً لدمه[1].

ونلاحظ كم من الحقائق المعرفية تحمل الفقرة المذكورة

---

(١) مقتطفات ولائية : المحاضرة الأُولى ، ص١٨ ـ ١٩ ، (بتصرّف) .

من الزيارة الشريفة، ومهما أمعنّا النظر وبالغنا في البيان فإنّنا لا نصل إلى حقيقة مضمونها وجوهره لقصور الطالب ومحدوديته، ولكن ممّا يمكن أن ندركه عدّة حقائق، والذي يهمّنا في هذا المقام حقيقتان:

الحقيقة الأُولى: على المؤمن أن لا ينظر إلى الإمام الحسين عليه السلام وقضايا الحسين عليه السلام وما نزلت به من مصائب نظرة سطحية ساذجة، ويتعامل معها كما يتعامل مع سائر القضايا، فإنّ قضايا الإمام الحسين عليه السلام فوق ما يتصوّره الإنسان وتدركها قواه العقلية والفكرية. إنّها قضية أبكت كلّ الوجود قبل الخليقة وبعدها إلى يوم القيامة، ولم يبكها العارفون به، بل كلّ المخلوقات بما لها من مراتب ودرجات وجودية وإدراكية؛ لأنّها قضية قتيل الله وثأره ووتره الموتور، فعلى المؤمن أن يعرف نفسه وحدودها إذا أراد أن ينظر إلى عاشوراء، أو يتعلّم منها، أو يحكم على ما جرى فيها من وقائع وأحداث؛ لأنّ فيها من القضايا الإلهية

الخطيرة التي جعلها الله محكّاً للعباد يختبر بها إيمانهم وشدّة بأسهم وقوّة يقينهم ومستوى ولائهم وتسليمهم وعبوديتهم، فعلى المؤمن أن يكون تجاهها على موقفين لا أكثر؛ لأنّ الثالث يخرجه عن الصراط .

الأوّل : أن يدرك من حقائقها ويتوصّل إليها بمقدار سعته العلمية والمعرفية وبتوفيق من ربّه تبارك وتعالى ، فلابدّ وأن يسلّم لها بقلبه ، ويذعن برأيه ، ويعمل بما يعلم به .

الثاني : أن لا يدرك هذه الحقائق فعليه أن يذعن ويسلّم لها أيضاً ولا يتردّد أو يتحرّج أو يتفلسف في قبالها فيرد ما لا يعرفه، أو ينكر ما لا يدركه، أو يخالف ما لا يجد له تفسيراً بحسب ما يملك من قدرات عقلية أو علمية على التفسير والتحليل، فإنّ الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة يبقى محدوداً عاجزاً أمام حقائق الوجود ومقامات ساداته ووسائط فيضه، بل الإنسان الذي يجهل نفسه ودواخلها وأسرارها وجهله غالب على علمه وربما غالب علمه جهل

مركّب كيف يمكنه أن يدرك حقائق أرادها الله سبحانه أن تكون سرّاً من أسراره وأن تكون مظهر عزّه وجلاله وجماله؟ فالحلّ الذي يقضي به العقل وضوابط الشرع والقوانين العلمية هو الرجوع إلى النصوص المروية عن الأئمّة عليهم السلام والاعتقاد بما فهمنا منها والإذعان لما لم نفهمه ليكون المؤمن من المسلّمين لهم بقلبه وفكره لا من التابعين لآرائهم وأهوائهم الضالّين عن الطريق .

فإنّ الإذعان والتسليم في ذلك من أجلى مصاديق التلبية والنصرة للإمام الحسين عليه السلام، وعكسه خذلان، ولذا ورد في بعض زياراته المعتبرة عن الصادق عليه السلام قوله: «لبّيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي على التسليم .. فقلبي لكم مسلّم، وأمري لكم متّبع، ونصرتي لك معدّة .. فمعكم معكم لا مع عدوّكم»[1] ولا يخفى ما في إفراد الضمير من قوله:

(١) كامل الزيارات : ص٣٨٨ ، ح١٧ .

«ونصرتي لك معدّة» من الإشارة إلى أهل المعرفة من وجود الإعداد والاستعداد لنصرة الإمام الحسين عليه السلام بكلّ ما يثبت إليه من عمل وجهد وإحياء ذكر ولو بمثل الشعر والبشرة والرأي، وأنّ هذا النهج هو نهجهم وغيره نهج عدوّهم .

الحقيقة الثانية : أنّ دم الإمام الحسين عليه السلام ممّا استقرّ في القلوب والخواطر كما استقرّ في عالم الملكوت ، وهو الثأر الذي يتحفّز جميع الخلق إليه ، وهذه قضية خالدة خلود الدهر ، فمن عمل على إحياء ذكرى هذا الدم والمطالبة بحقّه كان مع النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وجميع الأنبياء والأولياء، ومتّبعاً لنهج الله سبحانه وقانونه الذي أراده لهذا الدم، وهو أن يبقى نديّاً يحثّ الناس إلى الهدى ، ويشدّهم إلى الحقّ ، ويبعدهم عن طريق الشيطان .

ومن أساليب إحيائه ـ بل هو الأُسلوب المرضي لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام ـ كما يستفاد من

الأخبار والسيرة المعصومة هو إقامة مجالس الحزن والعزاء وإظهار التولّي والتبرّي على الجوارح والجوانح في الشعائر الحسينية المختلفة في مظاهرها وأشكالها .

ومن هنا كانت ظاهرة إحياء الشعائر ملازمة للتأريخ البشري كما مرّ عليك تفصيله، وستبقى حتّى عصر الظهور، بل وتمضي إلى الآخرة، فإنّ في المحشر سيقام عزاء للإمام الحسين عليه السلام يحضره الملأ الأعلى يبكون على الإمام الحسين عليه السلام ويشهدون لتضحياته وما جرى عليه في سبيل الله سبحانه ، فلا ينبغي للمؤمن أن يقف حائلا أو مانعاً أو مخذلا منها، بل إذا أراد الفوز والفلاح والقرب من محمّد وآل محمّد أن يحييها بنفسه، ويحرّض المؤمنين على إحيائها ؛ لأنّها الطريق المستقيم الذي يضمن فيه نجاته واستقامته، وهو النهج الذي تضمن به الأُمّة عزّتها وكرامتها، وتحفظ به هويتها .

الخصوصيّة الخامسة

أنّه نور الله الذي لا يطفأ

وقد تواتر هذا الوصف الجليل في زياراته مقترناً بالشهادة، ففي الزيارة المروية عن الصادق عليه السلام قال: «وأشهد أنّك نور الله الذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً ، وأنّك وجه الله الذي لم يهلك ولا يهلك أبداً»[1].

ولم يعهد في النصوص والروايات أنّ هذا الوصف بهذا النحو من التصريح أُطلق على غير الإمام الحسين عليه السلام، وقد دلّ بواحدة من الدلالات اللفظية الثلاثة على عدّة حقائق:

---

(١) المصباح : ص٤٩٨ ـ ٤٩٩ .

الأُولى: الإخبار عن واقع موجود يتحرّك في جميع العوالم، وهي أنّ الإمام الحسين عليه السلام وجه الله، ونوره سبحانه لا يضعف ولا يطفأ، بل هو دائم تستضيء به العوالم الوجودية أجمع .

الثانية: أنّ بقاء هذا النور ودوامه يرجع إلى عالم التكوين، وقد أراد الله سبحانه لهذا النور أن يبقى ويدوم ، ويستحيل أن يتخلّف المراد عن الإرادة، ولذا ورد التعبير بالجزم الحتمي في قوله: «لا يطفأ أبداً» ومن هنا تؤكّد حقائق التأريخ ووقائعه أنّ قوانين الوجود تتوقّف عند عاشوراء والحسين عليه السلام، ويمضي نظام الأسباب على عكس نظامه العام ، فلذا تكبر قيمة كربلاء وأحداثها بمرور الزمان، ولا يضعفها النسيان، وكلّما دبّر لإضعافها أو تضليل الناس عنها تزداد علواً واشتهاراً، والدمع الذي يذرف فيها يطفئ غضب الربّ تبارك وتعالى، والدم الذي يواسى به الإمام الحسين عليه السلام يكون شفاءً من الأمراض، كما أنّ نظام التشريع

فيها يتوقّف، ولذا تستحبّ زيارته مع الخوف والضرر، بينما يرفعان الواجبات كالحجّ والصيام والعمرة المنذورة .

الثالثة: أنّ للإمام الحسين عليه السلام ميزة أُخرى غير النور ، وهي أنّه وجه الله سبحانه ، وبحسب ما يفيده معنى الوجه لغة وعرفاً[1] يدلّ على أنّ من أراد الله سبحانه في معرفته أو عبادته أو طاعته أو في دعائه والتوسّل إليه فلابدّ وأن يبدأ في جهته ، وتوجّهه من الإمام الحسين عليه السلام، فهو طريق معرفة لله سبحانه، وهو نهج عبادته، وهو الوسيلة إلى رضوانه، وهذا ما يتوافق مضمونه مع متضافر الأدلّة الروائية المعتبرة والبراهين العقلية المقرّرة في علم أُصول الدين .

ومن خصوصية هذا الوجه أنّه لم يهلك ولا يهلك، بل هو باق في جميع عوالم الدنيا، والبرزخ حتّى يومي الظهور

---

(١) أُنظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٨٥٥ ، (وجه) ؛ لسان العرب : ج١٣ ، ص٥٥٥ ، (وجه) ؛ المعجم الوسيط : ج٢ ، ص١٠١٥ ، (وجه) .

والرجعة، وكذا في الآخرة، وقد ورد في بعض الأخبار أنّ الحساب في البرزخ والجزاء يكون بيد الإمام الحسين عليه السلام، وكذا في زماني الرجعة والآخرة.

الرابعة: أنّ الشهادة بهاتيك الحقيقتين أي أنّ الإمام الحسين عليه السلام نور الله وأنّه وجه الله سبحانه من شروط الإيمان والمعرفة، وقد مرّ عليك أنّ المراد من الشهادة هنا ليست شكلها وصورتها كما في الشهادة عند القاضي (البيّنة) بل المراد الغاية والأثر، وهو اليقين والشهود الحسّي أو القلبي بهذه الحقيقة، فإنّ المؤمن لا يكون مؤمناً ما لم تترسّخ حقيقة المعرفة بقلبه، فإنّ مراتب المؤمنين تختلف بحسب مستوى الإيمان وطريقه، فإنّ من اعتقد بعقله أدنى رتبة ممّن اعتقد بعقله وبقلبه، ومن اعتقد بقلبه استناداً إلى علومه الحصولية أدنى مرتبة ممّن اعتقد استناداً إلى يقينه الشهودي وبصيرته النافذة، فلابدّ للمؤمن أن يتحلّى بآثار الشهادة ليكون على درجة عالية من المعرفة، ويحظى

ببركاتها .

الخامسة: أنّ نفي انطفاء نور الإمام الحسين عليه السلام تأكّد بلم وباللام للاشارة إلى أمرين :

أحدهما: أنّه في نفسه ـ ومن جهة المقتضي ـ لا يقبل الانطفاء، ولا يكون الشيء كذلك إلاّ إذا كانت صفته النورية ذاتية .

ثانيهما: أنّه ـ من جهة المانع ـ لا يقبل الانطفاء ؛ إذ لا يمكن أن يحول دون تلألئه وانتشاره ، فمهما حاول الظلمة والطغاة إطفاءه أو التغطية عليه أو حجبه عن الناس يزداد علواً وظهوراً، يفضحهم ويسقطهم ويبقى هو الأسمى والأقوى والأقهر؛ لأنّه نور الله ووجهه .

وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيتين :

الأُولى: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [1].

(١) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

والثانية: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وواضح أنّ نور الله سبحانه ينطبق على مصاديق عديدة[2] من أجلاها نور الإمام الحسين عليه السلام، ومفاد الآيتين واحد، وهو أنّ نور الله باق إلى يوم القيامة يهدي ويعلم ويفضح المؤامرات والمكر والخداع التي يمارسها أهل الباطل لإضلال الخلق، إلاّ أنّ الآية الأُولى ناظرة إلى مقابلة الإرادتين، فإنّ الكفّار يريدون الإطفاء ويتمنّون ذلك إلاّ أنّ إرادة الله سبحانه تأبى تحقيق ما يتمنّون، وحيث إنّ الله غالب على أمره فلا يقع إلاّ ما يريده الله سبحانه.

والآية الثانية ناظرة إلى الإرادة والفعل والانشغال بمقدّمات الاطفاء كما تفيده لام الغاية في قوله: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ إلاّ

---

(١) سورة الصف: الآية ٨.

(٢) أُنظر أُصول الكافي: ج١، ص٤٣٣، ح٩١؛ كمال الدين: ص٢٢١؛ تفسير القمي: ج٢، ص٣٦٥.

أنّ إرادة الباري عزّ وجلّ تبطل النتائج، وتحول دون تحقيق الغايات، ومن الواضح أنّ ترتّب النتائج على المقدّمات إمّا من باب العلل التوليدية ويبقى الجزء الأخير للعلّة إذن الله سبحانه وإرادته، ولم يأذن الله سبحانه في اطفاء نوره مهما حاول الكافرون، أو هي من باب العلل المعدّة، فكلّ ما يعدّ الكفّار من مقدّمات وأسباب لإطفاء نور الله سبحانه فإنّه سبحانه يهيئ مقدّمات أقوى تغلب إرادتهم ومقدّماتهم، وتتمّ نوره ليضيء العالم بالحقّ.

فمنطوق الآيتين وإن كان متقارباً إلاّ أنّ مدلول الآية الأُولى يختلف عن مدلول الثانية لمكان أن المصدرية ولام الغاية، فالأُولى تشير إلى حبّ الكفّار ورغبتهم في اطفاء نور الله سبحانه ولو بلا مقدّمات وأسباب، وأمّا الآية الثانية فتشير إلى اتّباع الأسباب والوسائط لتحقيق هذه الغاية.

كما أنّ التعبير عن غلبة الإرادة الإلهية بالإباء في قوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ يفيد تأكيد الغلبة في بعديها

الإيجابي والسلبي، فإنّ الإباء هو الامتناع وعدم المطاوعة ، فيدلّ على أنّ إرادة الله سبحانه تتعلّق بأمرين :

أحدهما : نصرة نوره وتغليبه .

وثانيهما : إبطال مساعي الكفّار وإفشالها .

وهذا ما تؤكّده وقائع التأريخ وشواهد الأحداث منذ أيّام واقعة عاشوراء إلى يوم الناس هذا ؛ إذ تصدّى لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام أنظمة سياسية ودول كبيرة وأحزاب وحشود من الكتّاب والمؤرّخين وأصحاب الفتاوى الكاذبة لأجل إطفاء نوره وتشويه قضيته، إلاّ أنّها باءت بالفشل، وانهزم أصحابها، وانفضح أمرهم، وظلّ الإمام الحسين عليه السلام شامخاً يملك القلوب والضمائر يربّي ويعلّم ويهدي ؛ لأنّ الله سبحانه أراد للإمام الحسين عليه السلام أن ينتصر، وأراد لمخالفيه أن ينهزموا ويخسروا ؛ إذ أبى سبحانه إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون .

وتدلّ الآيتان الشريفتان على حقيقتين أُخريين :

الأُولى: أنّ محاولات الكفّار في اطفاء نور الإمام الحسين عليه السلام تتمّ بالأفواه ؛ إذ قال سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾[1] وهذا التعبير يدلّ على أنّ السلاح الذي يستخدمه المخالفون هو سلاح التشويش والتشويه للدين وشعائره بواسطة الدعايات والأفكار الضالّة التي يثيرونها في المجتمع المؤمن على ثلاث جبهات: جبهة الفكر والثقافة فيتّهمون الدين أو شعائره بأنّها تتنافى مع الفكر والثقافة الصحيحة ليخدعوا المثقّفين .

وجبهة الحرب النفسية فيشنّون حملة من الاستهزاء والسخرية بالشعائر وبمن يلتزم بها، أو التشكيك بها فكرياً أو دينياً ليخذّلوا المؤمنين بها فيكفّوا عنها ويخلوا الميدان السياسي والاجتماعي لنشر أفكارهم وثقافتهم الضالّة .

والثالثة جبهة دعاة التحضّر والرقي الحضاري فيوهمون الناس بأنّ ممارسة الشعائر وتعظيمها من الأساليب التي تمنع

---

(١) سورة الصف : الآية ٨ .

من التحضّر، وتشغل المجتمع عن المسائل المصيرية الهامّة ليخدعوا القادة وأصحاب القرار الديني والسياسي فيجرّوهم إلى مخالفتها والوقوف ضدّها .

وهذه الوسائل الثلاث كشف القرآن الكريم طرقها ونواياها بقوله: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وكشف بطلانها بقوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وواضح أنّ إتمام النور الإلهي يتحقّق بالإرادة التكوينية التي لا يتخلّف عنها المراد؛ لذا تصاب كلّ مساعي المخالفين بالفشل والبطلان مهما تلوّنت تحت شعارات مغرية ومارست أساليب ذكية .

ومن اللطائف البلاغية في التعبير أنّ الآية حصرت محاولات هؤلاء بالأفواه؛ للاشارة إلى أنّ محاولاتهم لا تعدو الكلمات، ومثلها مثل النفخ بواسطة الفم، ومن الواضح أنّ النفخ مهما بلغ وتعاظم فإنّه في جوهره لا

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

يحتوي على شيء ذي قيمة، كما لا يقوى على اطفاء النار العظيمة فكيف يطفئ نور الله القوي القاهر؟

والنتيجة دائماً هي انتصار الحقّ وبلوغ نوره غاياته، وهو ما عبّر عنه تعالى: «يتم نوره» و: «متم نوره» كما يفيده معناه اللغوي[1]، والتمام في النور هنا يحتمل معنيين:

أحدهما: الكمال، أي يأبى الله سبحانه إلاّ أن يكمل نور الإمام الحسين عليه السلام في مقابل محاولات المخالفين الانتقاص منه والتأثير عليه، فإنّ الله سبحانه بأمره وإرادته القاهرة يكمله، ويمحي جميع الآثار السلبية التي يسبّبها المخالفون بأفواههم، أو يسبّبها بعض المؤمنين بسبب جهلهم أو سوء تطبيقهم؛ لأنّ نور الإمام الحسين عليه السلام هو نور الله سبحانه ووجهه، ويتنزّه نوره من أن يصاب بسوء.

ثانيهما: بلوغ النهاية، أي يأبى الله سبحانه إلاّ أن يبلغ

---

(١) أُنظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص١٦٨، (تم)؛ لسان العرب: ج١٢، ص٦٧، (تمم)؛ مجمع البحرين: ج٦، ص٢٢، (تمم).

نوره إلى نهاية العالم، وهو زمان ظهور الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف سالماً عزيزاً يهدي ويعلّم .

وهذا ما تؤكّده صيغة المضارع واسم الفاعل من (يتمّ) و(متم) الدالاّن على الاستمرار والمواصلة فضلا عن الروايات الشريفة التي نصّت على أنّ أوّل ما يطلبه الإمام عليه السلام في الظهور هو دم الإمام الحسين عليه السلام والانتصار لمظلوميته ، ولا تنافي بين المعنيين ، بل كلاهما مستفادان من نصّ الزيارة الشريفة ؛ إذ وصفت نور الإمام الحسين عليه السلام بأنّه لم يطفأ ولا يطفأ أبداً[1] ؛ إذ قدّمت النفي بلم على النفي باللام ، فإنّ الأوّل يشير إلى وجود محاولات لإطفائه والانتقاص منه إلاّ أنّه لم يطفأ، والثاني يشير إلى بقائه أبداً لاستحالة إطفائه. وهذه هبة إلهية أعطاها الله سبحانه للإمام الحسين عليه السلام، وشعائره تبشّر المؤمنين الملتزمين بها بالنصر والظفر على مرّ الأجيال والعصور، وتحثّهم على الصبر

(١) المصباح : ص٤٩٨ ـ ٤٩٩ .

والتحدّي والثبات، وتحذّر المخالفين من المخالفة أو السعي لإطفائه أو التضييق عليه .

الثانية : أنّ من خصوصية هذا النور أنّه يشرق ويتلألأ في أشدّ الحالات وأقساها، وكلّما زادت محنته ومصيبته خطف نوره الأبصار، ولذا رأى الأنبياء نور الإمام الحسين عليه السلام شعشاعاً في عوالمهم[1].

ولمّا حملت الصدّيقة الكبرى بالإمام الحسين عليه السلام قال لها النبي صلى الله عليه وآله: «إنّي أرى في مقدّم وجهك ضوءاً ونوراً وذلك أن ستلدين حجّة لهذا الخلق» وقالت عليها السلام: «فلمّا أن دخلت الستّة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح»[2].

وقال من رآه صريعاً وهو مطروح في الشمس نصف

---

(١) أُنظر بحار الأنوار : ج١١ ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ، ح٢٦ .

(٢) الخرائج والجرائح : ج٢ ، ص٨٤٣ ـ ٨٤٤ .

النهار: (والله لقد شغلني نور وجهه عن النظر في قتله)[1].

وقال: (إنّي ما رأيت قتيلا مضمّخاً بالدم والتراب أنور وجهاً منه)[2].

وقال آخر حينما رآه صريعاً: (فرأيت في تلك المعركة نوراً لا ظلمة ونهاراً لا ليلا ... فوجدته مكبوباً على وجهه وهو جثّة بلا رأس، ونوره مشرق مرمّل بدمائه والرياح سافية)[3].

وقال زيد بن أرقم: كنت في داري إذ رأيت نوراً قد دخل في الكوّة حينما كانوا في الطريق يحملون رأس المولى الشهيد[4].

وأخبر السجّاد عليه السلام بأنّ الدنيا بعده مظلمة والآخرة بنوره

---

(١) مثير الأحزان : ص٥٧ ؛ مدينة المعاجز : ج٤ ، ص٧٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٥٧ .

(٣) نور العين : ص٧٩ .

(٤) أُنظر مقتل الحسين (للمقرّم) : ص٣٣٢ ؛ زيد بن أرقم : صفحة مقتل الحسين للسيّد المقرّم .

مشرقة[1].

وقبل ذلك وصفه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله بأنّه زين السماوات والأرض[2] إلى غير ذلك من خصوصيات نوره .

ولعلّ هذا يكشف بعض السرّ في بقاء ذكره وانتشاره في جميع الأرض، وأنّه محك الوجود الذي يكشف معادن الناس ومواقفهم؛ لأنّ هذه الخصوصيات الثلاث هي مزايا النور ولوازمه الذاتية، ومهما حاول الطغاة والحكّام الظلمة والأحزاب المعادية طمسه ومحو ذكره يزداد إشراقاً وتلألؤاً، وقد لمس هذه الحقيقة كلّ من عرفه وأحيا شعائره، وشارك في مراسم حزنه، وأقام له العزاء؛ إذ كان ولا زال الكثير من الناس يهتدون بنور الإمام الحسين عليه السلام إلى الإسلام والإيمان، ويخرجون من الظلمات إلى النور، ولا زالت

---

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ص٣٤ .

(٢) بعض وصايا النبي صلى الله عليه وآله: ص٣٣ ؛ نصوص النبي صلى الله عليه وآله على الأئمّة الاثني عشر: ص٥٧ .

مصيبة الإمام الحسين عليه السلام المحك الذي يميّز المؤمنين من غيرهم، والفائزين من الخاسرين، وكلّ من حاول التلاعب بشيء ممّا يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام سرعان ما فشل وانفضح أمره وهوى ، وهذه حقيقة ثابتة في وجدان المؤمنين دلّ عليها العقل والنقل كما سترى .

الخصوصيّة السادسة

أنّه حياة القلوب والشرائع

وقد ورد هذا الوصف في زيارته عليه السلام عن الصادق عليه السلام يقول فيها :

«أشهد أنّك قتلت ولم تمت، بل برجاء حياتك حيت قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك»[1].

وقد تواتر مضمون هذا النصّ في الكثير من الزيارات والروايات، وتضمّن الدلالة على عدّة حقائق مفادها أنّ الإمام الحسين عليه السلام بما له من مزايا وخصوصيات إلهية حيٌّ

(١) البلد الأمين : ص٢٨٤ ؛ بحار الأنوار : ج٩٨ ، ص٣٤٢ ، ح٢ .

في الوجود وفي القلوب والخواطر، ولا يمكن أن ينسى، أو يفتر الحبّ عنه، ويستدلّ على ذلك من فقرات الزيارة ذاتها:

الفقرة الأُولى: قوله عليه السلام: «أشهد أنّك قتلت ولم تمت»[1].

فإنّ هذه النتيجة ممّا تقتضيها حكمة الكلام وقواعد البلاغة والبيان، فإنّ الشهادة له عليه السلام بالقتل ونفي الموت لابدّ وأن يكون لغرض وحكمة، وتلك الحكمة هي الاشارة إلى أنّ له ثأراً، ولا يمكن للثأر أن يفنى أو يموت، بل يبقى حياً حتّى يطلب به.

وفي هذا التعبير تمييز كبير بين ما يطلبه المؤمنون وما يطلبه الطغاة، فإنّ الطغاة وأصحاب الدنيا يريدون للإمام الحسين عليه السلام أن يموت، وهذا ما تكشفه من سياستهم العامّة في محاربته ومحاربة شعائره، أو هدم قبره وقتل زائريه ومعظّمي

(١) المصباح: ص٤٩٨؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٤٢، ح٢.

شعائره، كما أنّ العلماء والباحثين من أتباعهم يريدون لهذه القضية أن تنسى أو تشوّه في روايات التأريخ، ولا يمرّ عليها إلاّ مروراً عابراً، فلذا يأبون الخوض في تفاصيلها أو الوقوف عند حقائقها للتعرّف عليها، بل هم بين من يبسّط الأُمور أو يمرّ عليها مرور العابر، وبين من يحاول تشويهها وتلبيس الحقائق على الناس دفاعاً عن يزيد ونهجه، إلاّ أنّ الفقرة الشريفة تبطل هذا النهج، وتحثّ المؤمنين على إظهار الشهادة والإقرار بها وبالقتل ليكون الشاهد مسؤولا عن إحيائه والمطالبة بثأره.

الفقرة الثانية: قوله عليه السلام: «بل برجاء حياتك حيت قلوب شيعتك»[1] والرجاء هنا الأمل الصادق، وهو المطلوب الذي يقطع الإنسان بحصوله في مقابل التوقّع الذي

(١) المصباح: ص٤٩٨؛ البلد الأمين: ص٢٨٤؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ح٣٤٢، ح٢.

قد ييأس من حصوله[1]، ولا يتحقّق إلاّ بالمرجو الذي فيه مسرّة، فلذا يتقوّم الرجاء بركنين هما وجود النفع والمسرّة في المرجو والسعي لتحصيله، فلو اختلّ أحدهما صار تمنّياً. ومن هنا قالوا: إنّ وقوع المرجو لا يتحقّق في الخارج إلاّ بعمل وإعداد المقدّمات والأخذ بالأسباب، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذمّ بعض الكذّابين في مدّعياتهم: «يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله »[2].

والباء في قوله (برجاء) سببية، والمعنى أنّ بسبب الجزم واليقين بحياة الإمام الحسين عليه السلام حيت قلوب الشيعة، وإطلاق الحياة يشمل الحياة المادّية والمعنوية، فإنّ حياة

---

(١) لسان العرب: ج١٤، ص٣٠٩، (رجا)؛ مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٣٤٦، (رجا)؛ المعجم الوسيط: ج١، ص٣٣٣، (رجو).

(٢) نهج البلاغة: ج٢، ص٧١؛ مجمع البحرين: ج١، ص١٧٨، (رجا).

الإمام الحسين عليه السلام بين الناس في الدنيا أحيت قلوبهم وأرواحهم، وحياته في الآخرة حفّزتهم على الاتّصال به والتقرّب إليه، ولذا ورد في الفقرة السابقة عليها أنّ الزائر يبتدئ السلام عليه بقوله: «السلام عليك أيّها العبد الصالح الزكي، أُودعك شهادة منّي لك تقرّبني إليك في يوم شفاعتك»[1].

وقد تضافرت النصوص والأدلّة على أنّ للإمام الحسين عليه السلام في حياة البرزخ وحياة الآخرة مناصب ومقامات إلهية عظمى تعدّ من خصوصياته، منها الحساب والثواب والعقاب، ومنها الشفاعة.

فالمؤمن الذي يؤمن بأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو نور الله وأنّه حي وأنّ ثأره باق لا يزول ولا يضعف ويشهد لهذه الحقيقة ويذعن لها سيكون قلبه حياً عامراً بحبّه ومعرفته، ومتفانياً في تحقيق هذا الرجاء والأمل، ووسيلته في ذلك هو

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٨، ح٣٤٢، ح٢.

إحياء ذكره وتعظيم شعائره والقيام بخدمته بشتّى صنوف العمل والخدمة .

ونلاحظ أنّ الحياة نسبت إلى قلوب الشيعة وليست إلى أنفسهم وفي ذلك إشارتان هامتان :

الأُولى: أنّ حياة القلوب أهمّ ما ينبغي أن يتطلّع إليه المؤمن في مسيرته الكمالية في الوجود، وكلّ قيمة تحيي القلب تكون أعظم وأرقى رتبة من غيرها، والمستفاد من الفقرة الشريفة أنّ ذكر الإمام الحسين عليه السلام وتعظيم شعائره هي حياة القلوب، فالاهتمام بها والمشاركة فيها اهتمام بالأهم والأفضل ، ولعلّ هذا ما يؤكّده قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] ولا شكّ في أنّ إحياء شعائر الإمام الحسين عليه السلام من أعظم شعائر الله، وإحياؤها إحياء للقلوب، وبهذا يتّضح أيضاً أنّ مراتب الناس ومستوياتهم يختلفون بحسب قلوبهم وما أُودع فيها

(١) سورة الحجّ : الآية ٣٢ .

من معرفة وحبّ وبغض، فالعارفون يتميّزون عن غيرهم في جملة مظاهر من أبرزها نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وتعظيم الشعائر الحسينية .

الثانية: أنّ للإمام الحسين عليه السلام شيعة خاصّين ـ دلّت عليها الاضافة «شيعتك» ـ يمتازون عن سائر الشيعة في أنّ قلوبهم حيّة برجاء حياة الإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين لا ينفكّون يذكرون الإمام الحسين عليه السلام ويشاركون في عزائه، ويذكّرون الناس به، وهذه مسألة شهودية قلبية لا عقلية فكرية، فليس كلّ من اعتقد بالتشيّع وبأُصوله وفروعه هو حسيني الصفة، بل الحسينيون هم الذين يحبّون الإمام الحسين عليه السلام ويعظّمون شأنه، ويخلّدون ذكره، ويوظّفون جهودهم وطاقاتهم وإمكاناتهم في نصرته وإحياء أمره. وهذا ما يدلّ عليه معنى (الشيعة) في اللغة والعرف، فإنّ الشيعة هم الأتباع والأنصار الذين يوالون الرجل

ويطاوعونه[1]. وفي المفردات: الشيعة من يتقوّى بهم الإنسان وينشرون عنه[2].

فشيعة الإمام الحسين عليه السلام الذين يتّبعونه وينصرونه في معتقداتهم وأفكارهم، وينصرونه في مواقفه ومصائبه، ويتأسّون به حينما تنزل بهم المصائب والآلام، فالباكي على الإمام الحسين عليه السلام اتّباعاً له في بكائه على أولاده وأصحابه هو متشيّع للإمام الحسين عليه السلام، والمعفّر خدّه وجسده في التراب، والمتغرّب عن أهله لأجل زيارته أو إقامة مأتمه، والمخضّب محاسنه من دمه، والمتحفّي الحاسر والجائع العطشان كلّهم شيعة للإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّهم يتّبعونه وينصرونه فيما هو عليه من المصائب، وعلى هذا يتّضح أنّ بين الشيعة بنحو مطلق وشيعة الإمام الحسين عليه السلام عموم

---

(١) أُنظر لسان العرب: ج٨، ص١٨٩، (شيع)؛ مجمع البحرين: ج٤، ص٣٥٦، (شيع)؛ المعجم الوسيط: ج١، ص٥٠٣، (شيع).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٤٧٠، (شيع).

من وجه، فمن اتّخذ الإمام الحسين عليه السلام إماماً وقدوة وتشيّع له يكون من شيعته، وحينئذ لابدّ وأن يأتمّ به في كلّ شيء، ويتأسّى به في جميع شؤونه وأحواله .

وأعلى درجات التأسّي والاقتداء ما يكون في المصائب والآلام والدموع والدماء، فبكاء المأموم على الإمام وحزنه وتخضيب شيبه ومحاسنه بدمائه وهجرته من أوطانه والتضحية بما يملك من مال وأهل وولد اقتداءً بإمامه من أظهر مصاديق الائتمام والعبادة والتقرّب إلى الله سبحانه، وهو من الملاكات العظيمة التي لا يمكن أن يزاحمها أو يمنعها مانع، ولذا قلنا إنّ ملاك تعظيم الشعائر غالب على سائر الملاكات التي تدور مدارها الأحكام الأوّلية والثانوية.

وهذه ميزة عظمى امتاز بها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فلقّبوا بسادة الشهداء في الدنيا والآخرة[1]، وأنصار

(١) الكافي: ج٤ ، ص٥٧٤ ، ح١ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٠ ، ح١ ؛ وص٣٧٣ ، ح٣ .

الله وأنصار رسوله صلى الله عليه وآله وأنصار العترة الطاهرة عليهم السلام[1].

وذلك لأنّهم ائتمّوا بإمامهم سيّد الشهداء في كلّ شيء .. ائتمّوا به في ظلامتهم وصلاتهم ومحاصرتهم وعطشهم وغربتهم وفصل رؤوسهم عن أبدانهم ورفعها على الرماح وبقائهم بلا غسل ولا كفن، فلم يبق شيء يمكنهم أن يقتدوا بسيّدهم فيه ويواسوه فيه إلاّ واقتدوا وتأسّوا[2].

فعلى المؤمنين أن يلتفتوا إلى هذه الحقيقة فيعرفوا مكانة الإمام الحسين عليه السلام عندهم، ومستوى تأسّيهم واقتدائهم به عليه السلام؛ لأنّ الانتساب إلى الإمام الحسين عليه السلام والتشيّع له لا يتحقّق بالعنوان والمصطلح الذي يتحقّق به أدنى نسبة وإضافة، بل بالنصرة والاقتداء والتأسّي بمثل ما فعل أنصاره في الله .

الفقرة الثالثة: قوله عليه السلام: «وبضياء نورك اهتدى

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٤ ، ح١ ؛ كامل الزيارات : ص٣٧٢ ، ح٣ .
(٢) أُنظر الأيّام الحسينية : ص٩٣ ، سادس الأيّام .

الطالبون إليك»[1].

الضياء والنور يجتمعان في المدلول إذا اجتمعا، ولذا يعبّر عن كلّ واحد منهما بالآخر، وإذا افترقا فإنّ الضياء أخصّ من النور؛ لأنّه يطلق على النور الذي يكشف عن غيره بينما النور أعمّ، وبهذا يظهر أنّ ما قيل من أنّ الضياء والنور مترادفان لغة غير سديد[2]؛ لما حقّق في محلّه من نفي الترادف في لغة العرب.

وقد ذكر جماعة فروقاً عديدة بينهما، إلاّ أنّ الذي يهمّنا هنا والمستفاد من الفقرة المباركة هو أنّ الضياء يطلق على النور المنتشر الذي به تبين الأشياء وتنكشف، ولذا يقولون ضياء النهار وضوء الشمس ولا يقولون نور النهار أو الشمس، وعليه فالنور هو الضوء المنتسب إلى ذات الشيء

---

(١) المصباح: ص٤٩٨؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٤٢، ح٢؛ وص٢٥٥، ح٣٩.

(٢) معجم الفروق اللغوية: ص٣٣٢، (١٣٢٥).

باعتبار ظهوره وجماله، ولذا يطلق على كلّ منير مادّي ومعنوي . يقال نور العقل ونور القرآن ونور العلم[1]، وأمّا الضياء فهو النور الكاشف ؛ لأنّه يظهر الغير ويكشف عنه .

وقوله عليه السلام: «بضياء نورك» يدلّ على أنّ للإمام الحسين عليه السلام نورين، نور لذاته وهو نوره الإلهي الربّاني، ونور يظهر به الغير ويكشف عنه وهو الضياء، وحيث إنّ الناس لا يقدرون على معرفة الإمام الحسين عليه السلام حقّ معرفته ؛ لأنّه نور الله ووجهه ووليه والمحدود لا يحيط باللاّ محدود انحصرت المعرفة به بضيائه .

ومن الواضح أنّ الاهتداء بهذا الضوء لا يتحقّق إلاّ بشرطين :

أحدهما : أن يكون الضوء منتشراً بين الناس ملأ الأرجاء

---

(١) كما قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ سورة المائدة: الآية ١٥ وهو القرآن الحكيم. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ سورة يونس: الآية ٥ لأنّ الرؤية تتحقّق بالشمس في النهار .

والنواحي.

ثانيهما: أن يتوجّه الناس إليه ويتعلّقوا به، فإنّه من دون التفات وتوجّه تتعذّر الهداية.

وتحقيق الهداية بالضوء دون النور يدلّ على أنّ الناس بتمسّكهم بالإمام الحسين عليه السلام هم المنتفعون الفائزون، وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فلا ينفعه تمسّك الناس به كما لا يضرّه تخلّفهم عنه، فإنّ نور الإمام الحسين عليه السلام ذاتي له، ومقامه ومكانته محفوظة في جميع عوالم الوجود إلاّ أنّ الناس ينقسمون إلى مهتدين به ومتخلّفين عنه، فعلى المؤمن أن يعرف أين يضع نفسه، ويلتفت إلى مواقفه واعتقاده بهذه الحقيقة الإلهية العظمى، ويتّضح ممّا ذكرنا بعض الخصائص الربّانية في الإمام الحسين عليه السلام وهي ثلاث:

الأُولى: أنّ نور الإمام الحسين عليه السلام هو نور الله سبحانه، فما يتّصف به نور الله سبحانه من المزايا والخصوصيات يتّصف به نور الإمام الحسين عليه السلام، فكما أنّ نوره سبحانه

عام ومنتشر في السماوات والأرض كذلك نور الإمام الحسين عليه السلام، ولذا لا تجد أرضاً ولا بلداً ولا مكاناً ولا جمعاً من الناس إلاّ وعرف الإمام الحسين عليه السلام وخشع له .

الثانية: أنّ الناس يعجزون عن إدراك حقيقة النور الإلهي كذلك يعجزون عن إدراك حقيقة النور الحسيني عليه السلام، إذ لا يعرف ذلك إلاّ الله سبحانه وأولياؤه، ولذا سكن دمه في الخلد، واقشعرّت له أظلّة العرش وكلّ الملأ الأعلى، بينما يجحد بالإمام الحسين عليه السلام بعض البشر، وبعض يناصبه العداء، وبعض يخالفونه كما كفروا بالله سبحانه وحاربوه وخالفوه .

الثالثة: أنّ معرفة الإمام الحسين عليه السلام تتحقّق بالآثار والوسائط، كما أنّ معرفة الله سبحانه عند الغالب من الناس تتحقّق بالبرهان الإنّي، فمن الخلق يعرف الخالق، ومن ضياء الإمام الحسين عليه السلام يعرف الإمام الحسين عليه السلام ولا شكّ أنّ ضياءه في الأرض هي مجالسه ومراسم ذكره

وشعائره التي يقيمها المؤمنون في كلّ مكان، وقد كانت ولا زالت السبب لترسيخ معتقدات المؤمنين وتثبيت أقدامهم، وجذب غير المؤمنين إلى الإيمان كما دلّت عليه الكثير من الشواهد والوثائق، وعلى هذا يتّضح أنّ المصداق الأجلى لضياء الإمام الحسين عليه السلام هي الشعائر الحسينية، فإنّها السبب الذي يقود الطالبين للهداية .

وقوله: «اهتدى الطالبون إليك»[1] يشير إلى الغاية، وهي تحتمل معنيين :

الأوّل: أن تكون غاية عامّة لكلّ الطالبين للمعرفة والإيمان بالدين والتوحيد، فتدلّ على أنّ كلّ هداية ومعرفة تتحقّق بواسطة الإمام الحسين عليه السلام، فمتعلّق الطلب محذوف وهو المعرفة والإيمان، والغاية هو الإمام الحسين عليه السلام باعتبار أنّه طريق وواسطة لغاية أُخرى وهي المعرفة بالدين

(١) المصباح: ص٤٩٨؛ بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٤٢، ح٢؛ وص٢٥٥، ح٣٩ .

والإيمان، وهذا ما يتوافق مع النصوص الكثيرة الدالّة على أنّ الإمام الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة[1]، وإنّ الإمام الحسين عليه السلام سبب حفظ التوحيد وتنزيهه من الشبهات، وأنّ الإسلام حسيني البقاء، وتؤكّد الوثائق التأريخية والروائية أنّ الكثير من غير المسلمين أسلموا، والكثير من المسلمين آمنوا، والكثير من المؤمنين التزموا ببركة الإمام الحسين عليه السلام .

الثاني: أن تكون غاية خاصّة تخصّ من يطلب التشيّع والاعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام، فإنّه يهتدي إلى الحقيقة بضياء الإمام الحسين عليه السلام وأنواره، فإنّ أوّل دليل على حقّانية التشيّع في أُصوله وفروعه موقف الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؛ إذ لا يمكن أن يكون المبدأ دافعاً لابنائه إلى الشهادة وبذل النفس لولا قوّة الحقّ فيه، ولولا صدق

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج٢ ، ص٦٢ ، ح٢٩ ؛ بحار الأنوار : ج٣٦ ، ص٢٠٥ ، ح٧ .

الإيمان في أبنائه لم يندفعوا إلى بذل نفوسهم لأجله، فمن أراد الإمام الحسين عليه السلام والاعتقاد به فإنّ طريق هدايته هو ضياء نور الإمام الحسين عليه السلام، وهي شعائره في مرقده وزيارته ومآتمه ومجالس عزائه وكلّ ما يتعلّق به من مظاهر وعلامات، وعليه يكون متعلّق الطلب وغايته هو الإمام الحسين عليه السلام .

ويتلخّص أنّ الطريق لمعرفة الله وعبادته والطريق لمعرفة الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه هو ضياء الإمام الحسين عليه السلام المنتشر في الأرض ببركة إحياء شعائره بصنوفها وأشكالها المختلفة .

وهذا ما سنتعرّف عليه من فصول البحث ..

الخصوصيّة السابعة

دمه عليه السلام أقدس شعيرة إلهية

لا شكّ أنّ الدم الذي يضحّى به في سبيل الله سبحانه من شعائر الله، ولذا صار دم الحسين عليه السلام أشرف شعيرة وأقدسها فأسكنه الله سبحانه في الخلد، وانحنى له العرش وأظلّة الخلائق، وأظهر صبغته في آفاق السماء في الفجر والغسق، وحبّب للعباد زيارته والسلام عليه وإحياء ذكره وبذل الدم مواساة لدمه كما يستفاد من بعض النصوص المعتبرة.

منها: ما ورد في الزيارة الشريفة ذات المضامين العالية المروية عن أبي حمزة الثمالي بطريق صحيح عن الإمام

الصادق عليه السلام بعد أن يدعو بأن يلعن الله من استخفّ بحقّهم عليهم السلام يقول: «نفسي فداؤكم ولمضجعكم صلّى الله عليكم وسلّم تسليماً»[1] ونلاحظ أنّه عليه السلام لم يخصّص التفدية بالنفس بما كان لهم عليهم السلام فقط، بل حتّى لمضاجعهم ومراقدهم، وهذا يشمل مصاديق عديدة منها الشهادة في طريق الزيارة وإحياء ذكراهم والحضور في مشاهدهم.

فإنّ المضاجع جمع مضجع وهو المرقد والمصرع[2]، ولعلّ التعبير بصيغة المفرد دون الجمع يشير إلى أنّ المقصود هو المصرع ذاته بما هو حدث لا اسم مكان، فيدلّ على مطلوبية التضحية بالنفس ولو بمثل القتل وبذل المهجة في ذكرى المصرع وإحياء شعائره، وقد ورد في الأخبار الشريفة ما يحثّ على تمنّي التضحية ومشاركة الإمام الحسين وأنصاره عليهم السلام في الشهادة.

---

(١) كامل الزيارات: ص٤١٦، ح٢٣.

(٢) مجمع البحرين: ج٤، ص٣٦٣، (ضجع).

ففي بعضها أنّ المؤمن إذا تمنّى أن يكون شهيداً مع الإمام الحسين عليه السلام وقال: (ياليتني كنت معهم) أُعطي من الثواب مثل ثواب من استشهد معه[1].

وإذا أحبّ المؤمن عمل أنصار الحسين عليه السلام أُشرك معهم كما ورد في رواية جابر[2]، وفي فضل زيارته يوم عاشوراء ورد: «من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطّخاً بدمه كأنّما قتل معه في عرصة كربلاء»[3] وفي حديث آخر: «كمن استشهد بين يديه»[4] وفي رواية أُخرى: «كان كمن تشحّط بدمه بين يديه»[5] والتشحّط

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٩٣؛ بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٦، ح٢٣؛ و ج٩٨، ص١٠٢ـ١٠٣، ح٣.

(٢) بشارة المصطفى: ص٧٤.

(٣) كامل الزيارات: ص٣٢٣، ح١؛ بحار الأنوار: ج٩٥، ص٣٤٠.

(٤) المصدر نفسه: ص٣٢٤، ح٢.

(٥) المصدر نفسه: ص٣٢٤، ح٥.

بالدم هو الاضطراب والتمرّغ بالدم في سبيل الله[1].

وربما يقع الكلام في تحديد مرجع الضمير في قوله (بدمه) فإنّ ظاهر جملة من الأخبار الواردة فيه أنّه الزائر نفسه، أي أنّ زائر الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء والبائت عنده، وكذا من زاره في يومه يكون كالمتشحّط بدمه، فينال بذلك أجر من استشهد مع الحسين عليه السلام، وجاهد بين يديه، وهذا ما تعضده رواية جابر الجعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله تعالى يوم القيامة ملطّخاً بدمه، كأنّما قتل معه فى عرصة كربلاء»[2] وفي أُخرى: «كان كمن استشهد بين يديه»[3] وفي رواية

(١) مجمع البحرين: ج٤، ص٢٥٧، (شحط)؛ مجمع مقاييس اللغة: ص٥٢٩، (شحط).

(٢) كامل الزيارات: ص٣٢٣، ح١؛ وسائل الشيعة: ج١٤، الباب ٥٥ من أبواب المزار وما يناسبه، ص٤٧٧، ح٣.

(٣) كامل الزيارات: ص٣٢٣، ح٢؛ مصباح المتهجّد: ص٧١٣؛ وسائل الشيعة: ج١٤، الباب ٥٥ من أبواب المزار وما يناسبه، ص٤٧٧، ح٤.

ثالثة: «يكون مشاركاً لشهداء كربلاء، وفي منازلهم في الجنّة»[1].

ويحتمل أن يكون مرجع الضمير هو الإمام الحسين عليه السلام فيكون المعنى أنّ زائره في عاشوراء يرتقي مراتب عالية فيكون كمن تلطّخ بدم الحسين عليه السلام، وبه وردت رواية عن الشيخ المفيد قدس سره قال: في كتاب التواريخ الشرعية، وروي «أنّ من زاره عليه السلام وبات عنده ليلة عاشوراء حتّى يصبح ... حشره الله تعالى ملطّخاً بدم الحسين عليه السلام في جملة الشهداء معه»[2].

وهي تتضمّن الاشارة إلى خلود الزائر في نعيم الله سبحانه بخلود دم الإمام الحسين عليه السلام الذي ورد في زيارته الشريفة

---

(١) مستدرك الوسائل : ج١٠ ، الباب ٣٧ من أبواب المزار وما يناسبه ، ص٢٩٣ .

(٢) مسار الشيعة (المجموعة للشيخ المفيد) : ص٢٥ ؛ إقبال الأعمال : ص٣٢ ؛ مستدرك الوسائل : ج١٠ ، الباب ٣٧ من أبواب المزار وما يناسبه ، ص٢٩٣ ، ح٨ ؛ نور العين : ص٢٨١ .

«أشهد أنّ دمك سكن في الخلد»[1] أو الاشارة إلى شدّة المحبوبية وعلو الرتبة؛ لأنّ دم الحسين عليه السلام هو أشرف ما تقرّب إليه فيه كما يشهد له قول سيّد الشهداء عليه السلام .

فبعد أن رمي بسهم في قلبه وجرى دمه كالميزاب أخذ منه ولطّخ به وجهه ومحاسنه، وقال: «حتّى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي»[2] أو للإشارة إلى عظيم الأجر والثواب الذي يناله الزائر فيكون كالمستشهد مع سيّد الشهداء عليه السلام .

ولا يبعد أن يكون ما رواه الشيخ المفيد قدس سره منقولا بالمضمون لا بالنصّ، فيكون النصّ قولا للراوي بحسب ما فهمه من النصوص ترجيحاً للمعنى الثاني الذي يرجع الضمير إلى الإمام الحسين عليه السلام، لكن احتماله بعيد عن

---

(١) الكافي : ج٤ ، ص٥٧٦ ، ح٢ ؛ كامل الزيارات : ص٣٦٤ ، ح٢ ؛ من لا يحضره الفقيه : ج٢ ، ص٥٩٥ ، ح٣١٩٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص١٢ ؛ لواعج الأشجان : ص١٣٧ ؛ وانظر نور العين في مشهد الحسين عليه السلام : ص٤٩ .

الظهور، ويمكن الجمع بين القولين بتفاوت درجات الزوّار ومعارفهم، فإنّ بعض الزائرين من أصحاب المعرفة والمقامات العالية يحشره الله مع الإمام الحسين عليه السلام ملطّخين بدمه، ولعلّ منهم الذين أوقفوا أنفسهم في خدمة الإمام الحسين عليه السلام ونشر ذكره ونصرته وتعظيم شعائره، ولو سنحت لهم فرصة الشهادة استشهدوا، وبعضهم أدنى رتبة فينالون أجر الشهداء معه .

وإذا كان فضل الزيارة يعود على الزائر بهذا الأجر والثواب العظيم فكيف بمن زاره وواساه بدمه؟ وعفّر خدّه على ترابه؟ وتمرّغ بدمائه كما قد يشير إليه الفعل الماضي في قوله (كمن تشحّط) فإنّ صيغة الماضي تدلّ على حتمية الوقوع، والغاية منه تتحقّق بالاستمرار على هذا النهج وهو نوع من اشتراء لله سبحانه الذي ورد في الخطاب الخاصّ للحسين عليه السلام الذي نزل له من عند الله تعالى في الصحيفة السماوية؛ إذ خوطب: «أُخرج بقوم إلى الشهادة، فلا

شهادة لهم إلاّ معك، واشتر نفسك لله عزّ وجلّ»[1].

فالله سبحانه اشترى من الإمام الحسين عليه السلام نفسه، وثمّن هذا الشراء بأن جعله منشأ الفيوضات الإلهية، وباب الرجاء والرحمة، ومن مراتب هذا الثمن ما يناله المؤمن من بركات البكاء عليه، وإحياء شعائره من الأجر والثواب والقربة من الله، ودخول الجنّة، كما أنّ الحسين عليه السلام يثمّن ما يقدّمه المؤمن في محبّته ونصرته وإحياء ذكره ويشتري منه ذلك.

وعن بعض الأعاظم أنّ الإمام عليه السلام يشتري من المؤمن الموالي المحيي لشعائره عشرة أنواع من الحزن والبكاء نصّت عليها الأخبار المعتبرة:

أحدها: أنّه يشتري منه أن يكون المؤمن مهموماً في مصابه من دون بكاء.

ثانيها: يشتري منه أن يكون قلبه متوجّعاً من أجله عليه السلام.

---

(١) أُنظر أمالي الصدوق: ص٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ بحار الأنوار: ج٣٦، ص١٩٢، ح١.

ثالثها: يشتري منه الدمع الذي تغرورق به عين المؤمن لمصيبته .

رابعها: يشتري ذُرف الدمع التي تظهر على الجفن ولا تجري على الخدّ .

خامسها: يشتري الدمع إذا جرى على الخدّ بثمن أغلى .

سادسها: يشتري الدمع الذي يجري على الخدّ ويبلّل المحاسن .

سابعها: ويشتري بأغلى من ذلك إذا جرى الدمع على الصدر ، أو بلّل الثوب .

ثامنها: يشتري التأوّه والأنين لأجله ، وله أجر آخر فوق أجر الدمع والبكاء .

تاسعها: يشتري الصراخ الذي يظهره الموالي حين البكاء وثمنه أغلى.

عاشرها: يشتري غاية الطاقة التي يبذلها المؤمن في العزاء حتّى تزهق نفسه كما ورد في حديث أبي ذرّ: «حتّى تزهق

أنفسكم»[1] وهذا غاية ما يمكن أن يقدّمه المؤمن في خدمة إمامه، وليس له ثمن، وأجره لا يقدّر بثمن، وعطاؤه لا محدود[2].

ولا تظنّنّ أنّ هذه الدموع التي ذرفت على الإمام الحسين عليه السلام سوف تجفّ كلاّ، لقد خلق الله ملائكة يجمعون الدموع الجارية على ما أصاب سيّد الشهداء عليه السلام ويجعلونها في قوارير الجنّة، فيدفعونها إلى خزنة الجنان فيمزجونها بماء الحيوان، وهو ماء الحياة الذي يفيض بالحياة الحقيقية الكاملة في الآخرة ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾[3].

ترى متى يدفع الثمن؟ ثمن هذه البضاعة يدفع نقداً كما قال الإمام عليه السلام: «ألا ... وصلّى الله على الباكين على

---

(١) كامل الزيارات : ص١٥٤ ، ح١٥ .

(٢) أُنظر الأيّام الحسينية : ص٨٠ ـ ٨١ ، خامس الأيّام .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .

الحسين رأفة وشفقة»[1] فالثمن أن يصلّي الله عليك. هذا ما يدفع منه نقداً، وأمّا الباقي فيأتيك على عدّة أقساط:

قسط منه وقت احتضارك، وقسط عند دخولك القبر، وواحد وقت سكناك القبر، وآخر عند خروجك من القبر، وهكذا حتّى القسط الأخير[2].

ومنها: ما ورد في فضل زيارته ودرجتها عند الله سبحانه ما يدلّ على جواز الاقتتال لأجلها، ففي رواية عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السلام: «لو يعلمون ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لأقتتلوا على زيارته بالسيوف، ولباعوا أموالهم في إتيانه»[3] وفي رواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٠٤، ح١٧؛ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٥٩٨؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٦٩، ح٢٥٨.

(٢) أُنظر الأيّام الحسينية: ص٨٢، خامس الأيّام.

(٣) كامل الزيارات: ص١٧٨، ح١٩؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٢٥، ح١٧.

الفضل لماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات »[1].

والاقتتال صيغة افتعال، ويتمّ بالمقاتلة من الطرفين ، ويتحقّق بنحوين :

أحدهما: أن يقتتل المؤمنون مع بعضهم البعض تزاحماً على تحصيل فرصة الزيارة، أو الدخول إلى الحرم الشريف، أو التفرّغ لها حتّى في الأُسرة الواحدة؛ لأنّ قدوم الزائر قد يتطلّب ترك من يدبّر أمر معاشه وبيته وعائلته من أهله وذويه، وعلى هذا يراد بالاقتتال المعنى المجازي .

ثانيهما: أن يقتتل المؤمنون مع المخالفين المانعين من الزيارة، وهو الأقوى ظهوراً، كما يفيده التعدية (بعلى) فلو كان بين المؤمنين لاستدعي التعدية باللام، فيقول (لاقتتلوا للزيارة) أو (لأجل الزيارة) كما أنّ قوله: «لباعوا أموالهم

---

(١) كامل الزيارات : ص٢٧٠ ، ح٣ ؛ وسائل الشيعة : ج١٤ ، الباب ٤٥ من أبواب المزار وما يناسبه ، ص٤٥٣ ، ح١٨ ؛ بحار الأنوار : ج١٠١ ، ص١٨ ، ح١ .

في إتيانه» يشمل الفقير الذي قد تعجزه الفاقة، والممنوع بسبب الحاكم الظالم ونحوه الذي قد يفرض غرامات وضرائب عليها، أو الذي تكلّفه الزيارة سفراً وإنفاقاً في المال.

ونلاحظ أنّ النصّين الشريفين يدلاّن بوضوح على جواز الموت والقتل في سبيل الزيارة، ويتوافق هذا مع ما ورد في رواية الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام قولهم: «نفسي فداؤكم ولمضجعكم»[1].

ويدلّ الخبران الشريفان على أنّ بلوغ هذه المرتبة السامية من التضحية لأجل الزيارة مشروطة بالمعرفة، فهو مقام لا يناله كلّ أحد، بل هو مقام العارفين بالإمام الحسين عليه السلام، والمدركين لمقام زيارته وفضلها، وعلى هذا إذا لوحظ عدم اقتتال الناس لأجل ذلك فليس الخلل في الفضل، بل في درجات العارفين، كما إذا لوحظ أنّ بعض المؤمنين قدّم

(١) كامل الزيارات: ص٤١٦، ح٢٣.

نفسه ضحية في هذا السبيل، وبذل دمه، أو أُصيب بجراحة ونحو ذلك لم يكن ملوماً، بل هو عند الله جدير .

فإنّ المستفاد ممّا تقدّم أنّ النفس مهما بلغت من الأهمية عند الله سبحانه وعند الناس فإنّها لا تبلغ أهميّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام والوصول عنده، ومن هنا قلنا إنّ شدّة تعظيم الشعائر وأصنافها تختلف بحسب مستويات العارفين والمعظّمين، فبعضهم من يكتفي بالبكاء، وبعضهم يكتفي بالمشي مسافات طويلة، وبعضهم من لا يكتفي إلاّ ببذل دمه فضلا عن ماله وأهله ، والكل مثاب ومأجور؛ لأنّ قيمة العمل بقيمة المعرفة التي تقف وراءه .

ومنها: ما يدلّ على أنّ لدم الحسين عليه السلام قيمة عظمى عند الله سبحانه، قدّسه وطهّره ورفعه عنده، وأسكنه في الخلد ، كما عظّمه النبي صلى الله عليه وآله وادّخره عنده، فقد اتّفقت روايات الفريقين على أنّ أُمّ سلمة رأت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أشعث مغبرّاً، وعلى رأسه التراب، فقالت له:

يارسول الله مالي أراك أشعث مغبرّاً؟ قال: «قتل ولدي الحسين، وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه»[1] فانتبهت فزعة، ونظرت إلى القارورة التي فيها تراب أرض كربلاء، فإذا به يفور دماً[2]، وهو التراب الذي ادّخره النبي صلى الله عليه وآله عندها، وقضيّته معروفة مشهورة في كتب الفريقين.

وفي يوم عاشوراء رأى ابن عبّاس رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث مغبرّاً وبيده قارورة فيها دم فقال له: بأبي أنت وأُمّي ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم»[3] وفي ذاك اليوم مطرت السماء دماً[4]، فأصبحت

---

(١) أمالي الطوسي: ص٥٦؛ تاريخ الخلفاء: ص١٣٩؛ سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢١٣.

(٢) الكامل: ج٤، ص٣٨؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٩٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ج٤، ص٣٤٠؛ تهذيب التهذيب: ج٢، ص٣٥٥؛ مسند أحمد: ج١، ص٢٤٢.

(٤) الكامل: ج٧، ص٢٩، حوادث سنة ٢٤٦؛ تاريخ ابن عساكر: ج٤، ص٣٣٩؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٨٩.

الحباب والجرار وكلّ شيء ملأى دماً[1]، وبقي أثره على البيوت والجدران مدّة[2]، ولم يرفع حجر حتّى وجد تحته دم عبيط[3] حتّى في بيت المقدس[4]، كما سال الدم من جدران قصر الامارة لمّا أدخلوا رأس الحسين عليه السلام[5].

وحدّث دعبل الخزاعي أنّ أُمّه سعدى بنت مالك الخزاعية أدركت الشجرة التي كانت عند أُمّ معبد الخزاعية وهي يابسة، وببركات وضوء النبي صلى الله عليه وآله أورقت وأثمرت كثيراً، ولمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله قلّ ثمرها، ولمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام تساقط ثمرها، وكانوا يتداوون بورقها، ولمّا

---

(١) الخصائص الكبرى : ج٢ ، ص١٢٦ ؛ مقتل المقرّم : ص٢٩٣ .

(٢) تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٣٩ ؛ الصواعق المحرقة : ص١١٦ .

(٣) المصدران السابقان ؛ مجمع الزوائد : ج١ ، ص١٩٦ ؛ الخصائص الكبرى : ج٢ ، ص١٢٥ ؛ مقتل الخوارزمي : ج٢ ، ص٩٠ .

(٤) تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٣٩ ؛ الصواعق المحرقة : ص١١٦ .

(٥) تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٣٩ ؛ الصواعق المحرقة : ص١١٦ .

قتل الحسين عليه السلام نبع ساقها دماً[1].

ولم تعرف الحمرة في السماء إلاّ يوم قتل الحسين عليه السلام[2].

وقيل للصادق عليه السلام: سيّدي جعلت فداك إنّ الميت يجلسون له بالنياحة بعد موته أو قتله، وأراكم تجلسون أنتم وشيعتكم من أوّل الشهر بالمأتم والعزاء على الحسين؟ فقال: «ياهذا إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة ثوب الحسين عليه السلام وهو مخرّق من ضرب السيوف، وملطّخ بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا»[3].

وسيظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام هذا الدم الطاهر، ويطالبان بحقّه في الآخرة، فقد ورد في رواية معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام «إنّه إذا كان يوم القيامة أقبل

---

(١) مقتل المقرّم: ص٢٩٤ ـ ٢٩٥؛ وانظر الخصائص الكبرى: ج٢، ص١٢٦؛ تاريخ ابن عساكر: ج٤، ص٣٣٩؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٩٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١١٦؛ تذكرة الخواص: ص١٥٤.

(٣) ثمرات الأعواد: ج١، ص٣٦ ـ ٣٧؛ نور العين: ص٣٥٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول صلى الله عليه وآله: ياربّ سل أُمّتي فيم قتلوا ابني؟ وقال عليه السلام: كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»[1].

وفي رواية الطائي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلّق بقائمة من قوائم العرش تقول: ياعدل احكم بيني وبين قاتل ولدي»[2].

وفي متضافر الروايات أنّ الله سبحانه يأمر النار فتلتهم قتلة الإمام الحسين عليه السلام ومن شاركهم[3]، ولعلّ هذا من

---

(١) أمالي الطوسي : ص١٦١ ـ ١٦٢ ، ح٢٠ ؛ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) : ص٦٠٥ ؛ بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٣١٣ ، ح١٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج٢ ، ص٨ ؛ مقتل الخوارزمي : ج١ ، ص٩٠ ؛ مناقب ابن المغازلي : ص٦٤ .

(٣) أمالي المفيد : ص١٣٠ ؛ بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٢٢٤ ، ح١١ .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المتوافقة على أنّ لدم الحسين عليه السلام وأنصاره عناية إلهية وحكماً ربّانية خاصّة اخترقت القوانين الطبيعية، وتجاوزت حدود الفكر القاصر، ولا ينبغي أن تنظر بالنظرة الساذجة البسيطة، ويتعامل معها كما يتعامل مع سائر الدماء .

ويؤكّد هذه الحقيقة ما ورد في الأخبار المعتبرة بطرق الفريقين من أنّ الإمام الحسين عليه السلام رمى ثلاثة من الدماء الطاهرة إلى السماء ولم تسقط منها قطرة:

الأوّل: دم علي الأكبر عليه السلام؛ إذ ورد في الزيارة الشريفة المروية بطريق صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام يقول: «ثمّ صر إلى قبر علي ابن الحسين فهو عند رجلي الحسين بن علي عليهما السلام، فإذا وقفت عليه فقل: ... بأبي أنت وأُمّي من مذبوح ومقتول من غير جرم، وبأبي أنت وأُمّي دمك المرتقى به إلى حبيب الله، وبأبي أنت وأُمّي

من مقدّم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك محرقاً عليك قلبه، يرفع دمك بكفّه إلى أعنان السماء لا ترجع منه قطرة»[1].

الثاني: دم علي الأصغر عليه السلام، فلمّا رماه حرملة بالسهم وذبحه تلقّى سيّد الشهداء عليه السلام الدم بكفّه ورمى به نحو السماء، فلم تسقط منه قطرة[2]، وقال: «هوّن ما نزل بي إنّه بعين الله تعالى»[3].

الثالث: دمه الطاهر، فلمّا رمي بسهم محدّد له ثلاث شعب وقع في قلبه الشريف... ثمّ أخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح، فلمّا امتلأت رمى به نحو السماء وقال: «هوّن ما نزل بي إنّه بعين

---

(١) كامل الزيارة: ص٤١٥ـ٤١٦، ح٢٣.

(٢) المناقب: ج٢، ص٢٢٢؛ اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٦؛ وانظر البداية: ج٨، ص١٨٦؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٣٢.

(٣) اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٦.

الله ، فلم يسقط منه قطرة إلى الأرض»[1].

ثمّ وضعها ثانياً فلمّا امتلأت لطّخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال : «هكذا أكون حتّى ألقى الله وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مخضّب بدمي» وأقول: «ياجدّي قتلني فلان وفلان»[2].

وفي بعض الأخبار ورد ذكر للأسماء بدلا عن الكناية، ولا شكّ في أنّ هذا الدم الطاهر لم يكن كسائر الدماء؛ لأنّه دم مهجة الإمام الحسين عليه السلام الذي هو عرش الله وحجّته ونوره ومخزن أسراره، ولذا سكن في الخلد، كما خلّد هذا الدم في خواطر الناس، وتكرّر ذلك في زياراته؛ إذ يسلّم الزائر على دمه ويدعو الله به[3].

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج٢ ، ص٢٤ ؛ تاريخ ابن عساكر : ج٤ ، ص٣٣٨ ؛ اللهوف على قتلى الطفوف : ص٦٨.

(٢) مقتل الخوارزمي : ج٢ ، ص٣٤ ؛ اللهوف على قتلى الطفوف : ص٧٠ ؛ مقتل المقرّم : ص٢٧٩ .

(٣) أُنظر تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص٦٤ ، ح١٣١ ؛ المزار (للمفيد) : ص١١٧ ؛ بحار الأنوار : ج١٠١ ، ص٢١٦ ، ح٣٣ .

وهذه خصوصية خاصّة بالإمام الحسين عليه السلام لم يخصّ بها نبي ولا وصي ولا ولي؛ لأنّ السلام على دمه له أكثر من حالة، فهناك سلام على الدم الذي أُريق على أرض كربلاء، وسلام على الدم الذي جمعه النبي صلى الله عليه وآله والملك في القارورة، وسلام على الدم الذي ضمّخ وجه أُخته الصدّيقة الصغرى، وسلام على الدم الذي صار خضاباً لمحاسنه وبه لاقى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله[1]، وهذه مزايا انفرد بها دم الحسين عليه السلام لم يشترك معه فيها أحد[2].

---

(١) الأيّام الحسينية : ص٧٠ ، رابع الأيّام ؛ تذكرة الشهداء (لحبيب الله الكاشاني) : ص٤٢٧ ، وفي قوله : (قتلني فلان وفلان) إشارات مهمّة إلى حقائق تأريخية لا يسعنا بحثها هنا .

(٢) ولعلّ منه ما ورد من فعل جواده بعد شهادته؛ إذ أقبل فرسه يدور حوله ويلطّخ ناصيته بدمه، ولمّا أحاطوه رمحهم برجليه ، وقتل منهم أربعين رجلا وعشرة أفراس، فقال ابن سعد دعوه لننظر ما يصنع، فلمّا أمن الطلب أقبل نحو الحسين عليه السلام يمرغ ناصيته بدمه ويشمّه ويصهل صهيلا عالياً ... وتوجّه نحو الخيام .

ويستنتج ممّا تقدّم نتائج :

النتيجة الأُولى: أنّ للدم قيمة عظمى في قضايا عاشوراء، وقد أظهره الله سبحانه على جبين الوجود بصور عديدة، كالحيطان والجرار والأرض وآفاق السماء وفي الملأ الأعلى ، كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام جلّل هذا الدم وعظّمه إذ رماه إلى السماء وما سقطت منه قطرة إلى الأرض؛ ليدلّ على أنّ هذا الدم ليس كسائر الدماء، بل هو دم إلهي يتجاوز قوانين الطبيعة، ويفوقها عظمة وكرامة، وقدّسه أكثر حينما خضّب به وجهه المبارك الذي هو وجه الله ونوره، وأراد أن يكون الشكل الذي يقابل به ربّه، ويكون شاهد إخلاصه وعبوديته وتضحيته في سبيله .

أُنظر ينابيع المودّة : ج٣ ، ص٨٤ـ ٨٦ .

وفي بعض الروايات : وأقبل فرس الحسين عليه السلام وقد عدا من بين أيديهم أن لا يؤخذ فوضع ناصيته في دم الحسين عليه السلام ثمّ أقبل يركض نحو خيمة النساء وهو يصهل ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة حتّى مات .

بحار الأنوار: ج٤٥ ، ص٦٠ ؛ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٣٠٤

ومن هنا قلنا لا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى عاشوراء وقضاياه إلاّ أنّها من القضايا الإلهية العظمى التي تقرأ بالقلب والبصيرة لا بالعقل والفكر فقط؛ لأنّها تتجاوز البرهان والاستدلال وإن كانت كلّ قضاياه مشتملة على الدليل والبرهان، بل لابدّ وأن تدرس بمنظور الأنبياء والأولياء الذين يشهدون الحقائق بالقلوب والبصائر.

النتيجة الثانية: أنّ خروج الدم من عيون الموجودات بصوره المختلفة يدلّ على أنّ إظهار الحزن على مصاب الحسين عليه السلام بالدم من السنن الإلهية التكوينية التي لا تبدّل ولا تتغيّر، وإذا عرف الناس الحسين عليه السلام كما ينبغي أو أدركوا عمق الفاجعة التي نزلت به في الموازين الإلهية لبكوه دماً باختيار أو بلا اختيار منهم كما بكته سيقان العرش والسماوات والأرض بالدم، ولا زال ولي الله الأعظم وسيّد الدهر يبكيه بالدم صباحاً ومساءً.

النتيجة الثالثة: أنّ فعل الإمام الحسين عليه السلام وتخضّبه

بالدم يدلّ على أمرين :

أحدهما: أنّ الدم من أعظم وسائل التقرّب إلى الله سبحانه، ولا يملك العبد وسيلة أسمى من الدم يقدّمها عبر طريق عبوديته لله وجهاده في سبيله، ولا يمكن إدراك هذه العظمة والقدسية عند الله سبحانه إلاّ من خلال موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي هو ولي الله وأسمى من خلق ؛ إذ خضّب وجهه الشريف بدمه تقرّباً[1]، وقال: «حتّى ألقى

(١) ولعلّ ممّا يتوافق مع هذا المضمون ما ورد في الأخبار أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام عند احتضاره أن يضع رأسه الشريف في حجره، وقال: «إذا فاضت نفسي فتناولها بيدك ، وامسح بها وجهك» الإرشاد: ص٩٦ ـ ١٠٠ ؛ إعلام الورى: ص١٤٠ ـ ١٤٣ ؛ بحار الأنوار: ج٢٢ ، ص٤٧١ ؛ منتهى الآمال : ج١ ، ص٢٠٦ .

والمراد من النفس الدم ، يقال دفق نفسه أو سالت نفسه أو فاضت أي خرج دمّه. يقال للدم نفس باعتبار الملازمة أو السببية ؛ لأنّ النفس تخرج بخروجه، وهذا المعنى أنسب ؛ لأنّ النفس بمعنى الروح ممّا لا يتناول ولا يمسح به، ومثله يقال في تفسيرها بالنفَس بفتح الفاء، وهو الريح الداخل والخارج من الفم والمنخر .

الله وأنا مخضّب بدمي»[1].

ثانيهما: أنّ تخضيب المؤمن وجهه ومحاسنه بدمه أمر سائغ، بل محبوب ومقرّب إلى الله سبحانه؛ لأنّ فعل الإمام الحسين عليه السلام حجّة على العباد، والاقتداء به عنوان راجح شرعاً وعقلا، فإذا أراد المؤمن أن يتقرّب إلى الله سبحانه بدمه ويخضّب وجهه ورأسه وجسمه تأسّياً بالإمام الحسين عليه السلام أو مواسياً له كان به متعبّداً، ونال الأجر

أُنظر لسان العرب: ج٦، ص٢٣٤، (نفس)؛ مجمع البحرين: ج٤، ص١١٤، (نفس)؛ المعجم الوسيط: ج٢، ص٩٤٠، (نفس).

وعلى هذا تحمل وصيّة النبي صلى الله عليه وآله دلائل هامّة نشير إلى اثنتين منها:

الأُولى: أنّه صلى الله عليه وآله سُمّ ولم يمت حتف أنفه؛ لأنّ المسموم يلقي دمه حين فيضان روحه.

الثانية: أنّ لهذا الدم قيمة مقدّسة، وله آثار وبركات معنوية عظيمة، ولعلّها من الأسرار التي لا يدركها إلاّ الخواصّ، ولذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وصيّه عليه السلام بأن يمسح به وجهه.

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٢، لواعج الأشجان: ص١٣٧.

والثواب، وإذا نوى فيه تعظيم الشعائر زاد أجره، وسمت رتبته أكثر، وإذا ضمّ إليه عنوان الاستنان بسنّة الله سبحانه في الوجود حيث أبكى الموجودات عليه دماً تضاعف الأجر والثواب؛ لما عرفت من أنّ تداخل العناوين وتطابقها يوجب علو المرتبة والمثوبة، وفي هذا دلالة تامّة على جواز إخراج الدم لهذا الداعي والقصد، ودلالة أُخرى على أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي سنّ سنّة الإدماء والتخضيب بالدماء في سبيل عاشوراء، وعلّم الناس أنّ الدم من أفضل المقرّبات إلى الله سبحانه، سواء أخرجه العبد بواسطة سكّين أو سيف أو عصا، أو بواسطة شدّة البكاء أو غير ذلك.

فإنّ المحبوبية متعلّقة بالإدماء، وأمّا جرح الرأس (التطبير) وضرب السلاسل ونحوهما فهما وسائل وأدوات للإدماء ، ولا إشكال في أنّ كيفية الإدماء لا تؤثّر في أصل الحكم، وليس من شأن الفقيه تحديدها؛ لأنّها أُمور شخصية لكلّ شخص أن يختار آلة الإدماء ما دام أصل العمل ممّا يصدق

عليه شعيرة .

وبهذا يتّضح أنّ إشكال البعض بأنّ التطبير ليس من المراسم القديمة وإنّما انتقلت من بعض البلدان المجاورة في وقت متأخّر مجانب للحقيقة التكوينية والتشريعية في الوجود، وعلى فرض صحّته ـ جدلا ـ فإنّه لا يضرّ بالحكم؛ لأنّه إذا ثبت جواز الإدماء بل محبوبيته ومقرّبيته فإنّ المناقشة في الأداة والوسيلة خارجة عن مهمّة الفقه والفقيه؛ لأنّها مسألة عرفية شخصية يرجع فيها كلّ شخص إلى طريقته وأُسلوبه كما ستعرفه من ثنايا البحث .

الخصوصيّة الثامنة

مرقده عليه السلام معراج إلى الملكوت

ومن خصوصياته عليه السلام الأُخرى أنّ موضعه معراج عالم الملك إلى الملكوت؛ إذ ورد في الصحيح عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ لموضع قبر الحسين بن علي عليهما السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أُجير... وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنّة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبي في السماوات إلاّ وهم يسألون الله أن يأذن

لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج»[1].

ونلاحظ أنّ القاعدة تقتضي أن يكون عالم الملكوت أرقى من عالم الملك ، فلابدّ لعالم الملك أن يرقى ليصل إلى الملكوت ؛ لأنّ الأدنى يرقى إلى الأشرف، إلاّ أنّ عند قبر الإمام الحسين عليه السلام تتغيّر القاعدة ، وتخرج عن الضابطة العامّة ؛ إذ سما قبره الشريف بمجاورة جسده واصطباغه بدمه الزكي فصار أرفع من السماوات ، وأعلى من مقامات الملأ الأعلى ، ولهذا يقول الإمام في إطلاق كلامه عليه السلام : ليس من ملك حتّى الكروبيين ولا من نبي حتّى أُولي العزم من المرسلين إلاّ ويسألون الله الإذن في زيارة قبره عليه السلام؛ لأنّهم ينالون في زيارتهم له مقامات أرقى وأعلى ممّا هم فيه، ولا يمكن وصف هذه المقامات إلاّ بما روي عن زيد الشحّام حيث قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما لمن زار

---

(١) كامل الزيارات : ص٤٥٧ ، ح٤ ؛ تهذيب الأحكام : ج٦ ، ص٧٢ ، ح١٣٤ ؛ الكافي : ج٤ ، ص٥٨٨ ، ح٦ .

الحسين عليه السلام ؟ قال: «كان كمن زار الله في عرشه» .

قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: «كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وهذه خصوصية امتاز بها الحسين عليه السلام لم يشاركه فيها أحد، وبها ربّما يتّضح بعض السرّ في حضور الملائكة وأرواح الأنبياء والمؤمنين عند قبره الشريف وملازمتهم له ، كما يتّضح بعض السرّ في حثّ النبي والأئمّة عليهم السلام المؤمنين على الحضور عنده في الأوقات الشريفة كليلة القدر وليلة الجمعة والنصف من شعبان وعرفة وليلة عاشوراء ويومها وغيرها من أوقات تفوق غيرها من الأوقات في الشرف والفضيلة، وذلك لأنّ مدفنه عليه السلام معراج الأعمال ، وهنا نلفت النظر إلى حقائق :

الحقيقة الأُولى: أنّ العروج في اللغة هو الصعود والارتقاء، والمعارج المصاعد، وليلة المعراج سمّيت بذلك

---

(١) كامل الزيارات : ص٢٧٨ ، ح١ .

لصعود الدعاء بها[1]، وفي التنزيل ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[2] أي تصعد، وقيل المعراج شبه سلّم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت. يقال: ليس شيء أحسن منه إذا رآه الروح لم يتمالك أن يخرج[3].

وكيف كان، فإنّ العروج على أقسام عمدتها العروج الجسدي والعروج المعرفي والعروج المقامي، وأعلى مراتب العروج هو الجامع بينها كما في عروج النبي صلى الله عليه وآله في قضية الإسراء والمعراج: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[4].

وقد ورد في الأخبار أنّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله عرج مرّتين: مرّة من مكّة إلى بيت المقدس، ثمّ من بيت المقدس إلى سماء

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٥٥٧، (عرج)؛ معجم مقاييس اللغة: ص٧٤٠، (عرج)؛ المعجم الوسيط: ج٢، ص٥٩١، (عرج).

(٢) سورة المعارج: الآية ٤.

(٣) لسان العرب: ج٢، ص٣٢٢، (عرج).

(٤) سورة النجم: الآيات ٨ ـ ١٠.

الدنيا، ثمّ منها إلى السماء السابعة، ثمّ إلى سدرة المنتهى، ثمّ إلى قاب قوسين، فالمعارج خمسة[1]، وفي بصائر الدرجات عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «عرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء مائة وعشرين مرّة، ما من مرّة إلاّ وقد أوصى الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله بولاية علي والأئمّة عليهم السلام من بعده أكثر ممّا أوصاه بالفرائض[2].

وواضح أنّ الانتقال من مكّة إلى بيت المقدس ليس عروجاً بالمعنى الحقيقي، وقد سمّي بالعروج باعتبار سببه؛ لأنّ العروج البدني مسبّب عن صعود النفس النبوية وارتقائها، أو باعتبار مقدّميته للعروج من بيت المقدس.

كما أنّ تعدّد العروج ناشئ من ارتقاء المراتب والمقامات، فالصعود من المرتبة الدانية إلى العالية هو عروج، وظاهر قوله: «ما من مرّة إلاّ وقد أوصى الله تعالى فيه النبي

---

(١) مجمع البحرين: ج٢، ص٣١٧، (عرج).

(٢) بصائر الدرجات: ص٩٩، ح١٠.

بالولاية لعلي والأئمة» إنّ العروج فيه معرفي ومقامي. هذا ما يتعلّق بالعروج الجامع للمراتب الثلاث .

وأمّا ما يتعلّق بزوّار الحسين عليه السلام فعروجهم يختصّ بالمعرفي والمقامي، والجمع بينهما لا يناله إلاّ خواصّ الخواصّ الذين عرفوا الحسين عليه السلام وهاجروا إليه بأبدانهم وعقولهم وقلوبهم على ما تقدّم بيانه ، ولعلّ من هنا ما من ملك ولا نبي إلاّ ويستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام ؛ إذ إنّهم لا يبلغون مقاماتهم المعنوية إلاّ بذلك، وأمّا غيرهم فربّما يعرجون عروج المعرفة وهو عروج الخواص، وذلك لأنّ الحسين عليه السلام مفتاح علوم الغيب، وربّما يعرج بعضهم بعروج المقام فينال ببركة زيارة الحسين عليه السلام وكرامته عند الله سبحانه مقام القرب من ربّه سبحانه، فيغفر ذنوبه، ويعفو عن خطاياه، ويقبل منه عمله، ويستجيب دعاءه، وهذا المقام يبلغه العوام أيضاً تفضّلا وتكريماً .

الحقيقة الثانية: أنّ عروج العمل يعني صعود العمل إلى

السماء العليا بواسطة الملائكة أو بلياقته للصعود فيصل إلى الله سبحانه كناية عن قبوله، كما يستفاد من مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1] وهو ظاهر من منطوق قوله: «يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء» وهناك معنى آخر مكمّل له، وهو ارتقاء العمل إلى مستوى عال من الكمال، فلا تحجبه النواقص والاختلالات تفضّلا وتكريماً لزائر الحسين عليه السلام، فيكون نظير قول النبي صلى الله عليه وآله: «أنّ سين بلال عند الله شين»[2] ولا تنافي بين المعنيين.

الحقيقة الثالثة: أنّ معنى أنّ موضع قبر الحسين عليه السلام معراج لأعمال زائريه فيه أكثر من احتمال:

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٢) تحرير الأحكام: ج١، ص٢٢٨؛ الحدائق الناضرة: ج٨، ص١٢٩؛ جواهر الكلام: ج٩، ص٣١١؛ مستدرك الوسائل: ج٤، الباب ٢٣ من أبواب قراءة القرآن، ص٢٧٨، ح٣.

الاحتمال الأوّل: أنّه المعنى الحقيقي، بمعنى أنّ عروج أعمال الزوّار إلى السماء تكون من موضع قبره، كما أنّه موضع صعود الدعاء واستجابته، وهذا ما تؤكّده الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ للملائكة صعوداً وهبوطاً على قبره الشريف.

الاحتمال الثاني: أنّه المعنى المجازي، ويراد به أنّ الزائر إذا بلغ قبر الحسين عليه السلام قبلت أعماله باعتبار أنّ زيارته توجب غفران الذنوب وعلو الدرجات .

الاحتمال الثالث: أنّ المراد من العروج هنا بلوغ القبر الشريف نفسه، باعتبار العلاقة الدائمة بين الحسين عليه السلام وبين عرش الله سبحانه؛ إذ كتب اسمه على ساق العرش، وهو عليه السلام من حملة العرش، كما أنّه مهبط ملائكة الله سبحانه، بل هو مهبط أمر الله وإرادته، وهذا ما يؤكّده قول الصادق عليه السلام الوارد في زيارته الشريفة: «إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصادق

عمّا فصل من أحكام العباد »[1].

وعلى هذا فإنّ العروج هنا لا يراد به صعود العمل إلى السماء، بل ارتقاء ذات العمل وارتفاع قدره ومكانته، فيكون مقبولا وحائزاً على درجات عالية من القرب الإلهي. وتؤكّده الأخبار الشريفة التي وصفت زائر الحسين عليه السلام بالكرّوبي، نسبة إلى الملائكة الكرّوبيين، وهم سادة الملائكة والمقرّبون منهم[2] ولا تنافي بين الاحتمالات وإن كان الاحتمال الثالث أوفق بالنصوص والقواعد، كما أنّه جامع لمضمون الأوّل والثاني .

يبقى الكلام في أنّ المراد من العروج بأعمال الزوّار المعنى

---

(١) كامل الزيارات: ص٣٦٦ ، ح٢ ؛ وانظر من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٩٦ ، ح٣١٩٩، وفيه: «إرادة الربّ في مقادير أُموره تهبط إليكم، وتصدر في بيوتكم، والصادر عمّا فصل من أحكام العباد» ؛ تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٥، ح١٣١، وفيه: «والصادر عمّا نقل من أحكام العباد» .

(٢) مجمع البحرين : ج٢ ، ص١٥٩ ، (كرب) .

المطلق، بمعنى أنّ العروج يشمل كلّ أعمال الزوّار حتّى ما كان منها قبل الزيارة وبعدها؟ أم المضيف فيختصّ بأعمالهم في وقت الزيارة؟ احتمالان، ويؤيّد الأوّل إطلاق لفظ الأعمال، ويؤيّد الثاني إضافة الأعمال إلى الزوّار بوصف الزيارة، والأقوى هو الأوّل استناداً إلى الروايات الكثيرة التي تنصّ على أنّ زائر الحسين عليه السلام يغفر له ما تقدّم من ذنوبه، ويخاطب بعد خروجه منها : طوبى لك أيّها العبد، قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف فاستأنف العمل[1].

فإذا كان قبره عليه السلام معراج القرب من الله سبحانه، وتربته معراج العبادة؛ إذ السجود عليه يخرق الحجب السبع[2]،

---

(١) المزار (لابن المشهدي): ص٤٣٧ ؛ كامل الزيارات: ص٣٢٤ ، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة : ج٦ ، الباب ١٦ من أبواب التعقيب وما يناسبه ، ص٤٥٦ ، ح٤ ؛ بحار الأنوار : ج٨٢ ، ص٣٣٤ ، ح١٦ .

ويوجب قبول الصلاة كما عن جماعة[1]، وزيارة قبره ترفع العبد إلى مقام زيارة الله سبحانه، فماذا يكون أثره في دمه الزكي؟ ولذا ورد في زيارته عليه السلام الواردة بالسند المعتبر الصحيح: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد»[2] وفي معناه قال بعض أهل المعرفة: ولا مقام أرفع من هذا المقام، فإنّ سكنى دمه الذي هو من عالم الدنيا ودار الفناء في دار البقاء وجنّة الخلد يكشف عن انقلاب الدم الذي هو من عالم الملك بمجاورة روحه إلى عالم الملكوت، وأنّه بلغ من الطيب والطهارة إلى مرتبة قال الله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[3].

---

(١) نقل عن الشهيد أنّ السجود على التربة الحسينية تقبل به الصلاة وإن كانت غير مقبولة لولا السجود عليها. أُنظر مستدرك الوسائل: ج٤، الباب ٩ من أبواب ما يسجد عليه، ص١٢، ح١.

(٢) كامل الزيارات: ص٣٦٤، ح٢؛ من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٩٥، ح٣١٩٩.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٠.

فما أعظم شأن دم عظمت رزيته على جميع الخلائق من المادّيات والمجرّدات[1]!

(١) مقدّمة في أُصول الدين (مقدّمة رسالة الشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه) منهاج الصالحين : ج١ ، ص٣٦٥ ، (بتصرّف) .

الخصوصيّة التاسعة

الحسين عليه السلام باب التوفيق وقبول الأعمال

قد يعمل الإنسان ليل نهار لأجل أداء واجب أو القيام بحقّ يفرضه عليه الشرع أو المسؤولية الإنسانية، وهو يقصد فيه وجه الله سبحانه؛ ليكون زاده وذخيرته في آخرته، وربما يجهد نفسه في العبادة صلاة وصياماً وذكراً وغيرها من أعمال البرّ رجاء أن ينال هذه الغاية، وهو في عين الحال قد يطمئن بأنّ أعماله جاءت صحيحة بحسب الميزان الشرعي للأعمال، مستوفية لجميع الأجزاء والشرائط المطلوبة في العمل الصحيح، ولكن الشيء الذي لا يتمكّن من إحرازه والاطمئنان إليه هو قبول العمل عند الله سبحانه، واعتباره لديه فينال أجره، ويحظى بآثاره وبركاته.

وهذه قاعدة عامّة في جميع الأعمال التي يقوم بها العباد

لله سبحانه، سواء في مجال العبادات أو في غيرها مهما عظمت، وبلغ فضلها ما بلغ، فإنّ ما بيد العبد صحّة العمل، وذلك بأن يأتي بالعمل جامعاً لأجزائه وشرائطه الشرعية، وأمّا قبوله فليس بيده، ولكن المستفاد من الأدلّة الشرعية أنّ لهذه القاعدة استثناء يكاد يجزم به العبد، بأنّ ما يقوم به العبد مهما صغر وتضاءل فإنّه مقبول عند الله سبحانه، وينال به خيره وبركته، وهي الأعمال التي يقدّمها الإنسان للحسين عليه السلام من تعظيم وزيارة وبكاء وعزاء ولطم، أو نظم شعر وكتابة كتاب، أو نشر مقالة، أو بناء حسينية، أو اعتلاء منبر، أو مواساة له في دم أو عطش أو جوع. كلّ ما يقدّمه الموالي من أعمال حبّاً للحسين عليه السلام ونصرة لقضيّته وتضامناً مع أهدافه ومواقفه هو مقبول عند الله سبحانه، وينال صاحبه بها مقاماً معنوياً خاصّاً عند الله سبحانه وعند أهل البيت عليهم السلام، وتعدّ هذه الحقيقة من المسلّمات التي يشهد لها كلّ من عرف الحسين عليه السلام

وتفاعل مع قضاياه في السرّاء والضرّاء وهي من مختصّاته الربّانية ومزاياه، وقد تواتر النقل لدى العلماء وأهل الفضل بأنّ أكثر شيء ينفع الإنسان في آخرته وينال به مراتب عالية في البرزخ والآخرة هو ما يقوم به الإنسان من أعمال ومشاركات في قضايا الحسين عليه السلام وعاشوراء حتّى باتت من الضروريات اليقينية التي لا يشكّ فيها إلاّ من لا يعرف الإمام الحسين عليه السلام أو ضعيف الإيمان .

ومن هنا فإنّ نصرة الحسين عليه السلام وإحياء شعائره من التوفيقات الإلهية التي لا ينالها كلّ أحد ، بل المستفاد من الأخبار الشريفة ـ كما ستعرف ـ أنّ هناك أُناساً يصطفيهم الله سبحانه لخدمة الحسين عليه السلام وإحياء أمره وذكره في كلّ زمان ومكان يعدهم الأئمّة عليهم السلام خيار شيعتهم ، وهو أمر يتطابق مع موازين العقل والحكمة الإلهية ؛ لأنّ الله سبحانه لا يضيع أجر العاملين ، وقد قدّم الحسين عليه السلام لله سبحانه كلّ شيء، ولم يبق شيء من الغالي والنفيس إلاّ قدّمه لله

سبحانه تقرّباً وشكراً وحبّاً، فكان لابدّ وأن يكافئه الله سبحانه بما يستحقّ ويليق بشأنه فيجعل قبره مزاراً وتربته شفاءً وذرّيته أئمّة وسادة والعمل لأجله مقبول والدعاء عنده مستجاباً، ويجعل الدنيا والآخرة رهن أمره .

فالعطاء الإلهي للحسين عليه السلام دائم، وقد اجتمعت فيه شرائط العلّة التامّة فيه من تمامية فاعلية الفاعل وقابلية القابل، وهو لا محدود؛ لأنّ الحسين عليه السلام لم يجعل لعطائه وتضحيته حدوداً فأخلص العبودية لله سبحانه، وجاد لأجلها بكلّ ما ملكت يداه حتّى دمه وأبناؤه وأهل بيته وأنصاره لأجل أن يبقى دين الله سبحانه حيّاً، ويبقى ذكر الله سبحانه حاكماً في القلوب والأفكار، وكتابه سيّداً في المجتمع الإنساني، ودينه منزّهاً من الأباطيل والبدع؛ لهذا السبب والغاية سألت الله سبحانه أن يمنّ عليّ بتوفيق الخدمة للإمام الحسين عليه السلام لأتشرّف بوسام خدّامه، وأحظى ولو بشيء يسير من مقام النصرة له، وبإظهار موالاته وموالاة

أوليائه، والبراءة من أعدائه ومحاربتهم ولو بالكلمة التي تعرّف بمقام أنصاره والمحبّين لشعائره والمقيمين لذكره بكلّ ما أُوتوا من طاقة ومعرفة، وهو مقام شريف تمنّته ملائكة الله سبحانه وأنبياؤه وأولياؤه المقرّبون كما نصّت عليه الأخبار المتضافرة، وتواتر مضمونه في زياراته الشريفة والأدعية الواردة بشأنه كما لا يخفى على العارف المتتبّع .

ومن بركات هذا المقام دوام الحياة في ثلاثة عوالم مع الإمام الحسين والأئمّة عليهم السلام عالم البرزخ وعالم الرجعة وعالم الآخرة، فإنّ المستفاد من الأخبار أنّ من نصر الحسين عليه السلام بالسيف أو نصره بالحزن والمصيبة يعيشون في البرزخ حياة فاضلة، ويرجعون مع الإمام الحسين عليه السلام في الرجعة، وأمّا في الآخرة فيرافقونه مع الشهداء والصدّيقين، وهذا شرف لا يدانيه شرف، وغاية ما بعدها غاية، وقد رجوت بهذا العمل أن تستقرّ نفسي بعمل مقبول عند الله سبحانه يكون لي ذخراً وزاداً في حشري ونشري يوم الحسرة الذي

يتمنّى المرء أن يكون قد قدّم لحياته شيئاً مقبولا محسوباً عند الله سبحانه، ويكاد يجزم العبد الذي عرف الحسين عليه السلام وأدرك عظمته ومكانته وقربه من الله سبحانه أن لا يوجد شيء يمكن أن ينال به ذلك إلاّ نصرة الحسين عليه السلام ومواساته بكلّ ما أُوتي من طاقة، وهذا ما يطلبه العبد في زيارة الحسين عليه السلام في عاشوراء؛ إذ يقول في حالة سجوده: «اللهمّ ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود ، وثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»[1] وواضح أنّ هذا المقام لا يناله من فاتته الشهادة الجسدية إلاّ بالشهادة المعنوية، أي أن يكون الإمام الحسين عليه السلام حاضراً في قلبه وحبّه ظاهراً على جسده لا ينسى ذكر الحسين عليه السلام ولا يغفل عن إحياء أمره والتذكير بمصائبه وتعظيم شعائره ومواساته بالدمع والدم ، وبكلّ ما ملكت يداه .

---

(١) مصباح المتهجّد : ص٧٧٦ ؛ كامل الزيارات : ص٣٣٢ ، ح٩ .

الخصوصيّة العاشرة

الحسين عليه السلام والفتح الإلهي

لمّا عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج إلى كربلاء خاطب قومه وأهله: «من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[1].

وقد كشف عليه السلام في هذه المقولة المباركة عن سنّة إلهية من السنن العظيمة في حياة البشر، وهي أنّ الأشياء تقاس بآثارها ونتائجها، وهي في حقيقتها قاعدة عقلية منطقية وشرعية أثبتتها التجارب، واقتضتها طبائع الأشياء.

---

(١) كامل الزيارات: ص١٥٧، ح٢٠؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٧، ح٢٣؛ المناقب: ج٤، ص٧٦.

وبهذا المعيار ينبغي أن يحكم على وقائع التأريخ والانجازات البشرية بالانتصارات والهزائم، وبالنجاح والفشل، فليست الانتصارات تقاس بكمية العمل، ولا بكثرة التمويل والإنفاق، ولا بالمدّة التي تستغرقها، بل بمدى الآثار الناجمة عنها، فالقنبلة الذرّية قد لا تساوي في وزنها طنّاً من التراب أو الحجر، إلاّ أنّها في آثارها تفني ملايين الأطنان منهما، والقلم لا يمكن أن يقاس بالسيف من حيث طوله أو وزنه وغيرهما من المظاهر المادّية ، إلاّ أنّه في تأثيره قد يقود الملايين من السيوف، ويسخّرها لخدمة أهدافه، وهكذا دور الشاعر والعالم والخطيب والمعلّم، فالأشياء لا تقاس بوقتها أو كميّتها أو مظاهرها المادّية أو أرباحها الوقتية، وإنّما بآثارها ونتائجها، وبهذا المقياس ينبغي أن ننظر إلى عاشوراء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، كما ينبغي أن ننظر إلى شعائره ومآتمه ومراسم حزنه؛ وقد اتّفق الباحثون وأهل البصائر على أنّ في عاشوراء تجلّت

قيمتان هما :

١ ـ قيمة النصر . ٢ ـ قيمة الفتح .

وبين القيمتين تفاوت في الآثار والنتائج، ويؤكّد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[1] فإنّ العطف في الآية يدلّ على أنّ قيمة الفتح أعلى وأهمّ من قيمة النصر؛ لأنّ النصر ليس إلاّ مقدّمة، وأمّا الغاية الأساسية التي ينبغي أن يقصدها المجاهد هي الفتح، وقد فسّرت الآية التي بعدها حقيقة هذا الفتح بدخول الناس في دين الله أفواجاً وجماعات بعد أن كانوا يدخلون فيه فرادى، وصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام، فالنصر وإن تحقّق بدخول مكّة إلاّ أنّه كانت تقف وراءه غاية أكبر وأهم، وهي دخول الناس في الإسلام .

وفي آية أُخرى عبّر عن بعض الإنجازات المهمّة بالفتح مع أنّه لم يكن فيه مواجهة ولا حرب كما في صلح الحديبية؛ إذ

---

(١) سورة النصر : الآية ١ .

قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1] وهذا الفتح المبين كان عبارة عن إنهاء حالة الحرب وإيجاد الهدنة بين المسلمين وبين العدو اللدود لهم وهم قريش، بما ساعد على نشر الإسلام وزيادة قوّة المسلمين، وتسمية الصلح بالفتح المبين يعود لأسباب:

السبب الأوّل: أنّ هذا الصلح تضمّن الإقرار من قريش بوجود الإسلام والمسلمين وبقوّتهم والإذعان لإرادتهم، وكان هذا أوّل خطوة في طريق تراجعهم النهائي واندراس آثار الكفر والجاهلية وسيادة حكومة الإسلام؛ لأنّهم كانوا يعتقدون أنّهم سادة البلاد وقادة العباد، ويتمتّعون بقيمة معنوية عليا بين القبائل؛ لكونهم سدنة البيت ورعاة الحرم، وكانوا لا يقرّون لأحد بشيء من الزعامة والقيادة، لكنّهم في هذا الصلح أقرّوا للنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين بأنّهم القوّة

(١) سورة الفتح: الآيات ١ ـ ٣.

التي تشاركهم، وفي المستقبل ستبطل مزاعمهم، وتمحي كفرهم وجاهليتهم، وهذا بحسب موازين الحرب والسياسة يشكّل فتحاً لا نصراً. وفي بعض الأخبار سمّاه النبي ﷺ بأعظم الفتوح[1].

السبب الثاني: أنّ هذا الصلح مهّد الأجواء الاجتماعية والنفسية والسياسية لاختلاط الكفّار والمشركين بالمسلمين فيسمعون القرآن وتعاليم النبي ﷺ، ويتعرّفون على الإسلام ومبادئه وأهدافه بلا توتّر أو عداوة بما يقودهم إلى الإيمان، ولذا وردت بعض الأخبار أنّه أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، فكثر بهم سواد الإسلام[2]، وبهذا يكون النبي ﷺ قد حقّق نصراً معنوياً كبيراً بلا حرب، بل ينهي حالة الحرب والنزاع بالمسالمة، ويزيل ظلام الشرك والكفر

---

(١) تفسير كنز الدقائق: ج١٢، ص٢٥١، تفسير الآية المزبورة.

(٢) أُنظر مجمع البيان: ج٩، ص١٨٢، تفسير الآيات المزبورة؛ بحار الأنوار: ج٢٠، ص٣٤٥؛ تفسير نور الثقلين: ج٥، ص٤٨، ح٩.

بنور الإيمان، وهذا فتح آخر يفوق حالة النصر الحربي والغلبة على العدو بالسيف والقوّة .

السبب الثالث: أنّ هذا الصلح وفّر للنبي ﷺ والمجاهدين من أصحابه فرصة ترسيخ مفاهيم الإسلام في القلوب، وتوطيد الأرضية المناسبة لتكوين دولته، وتطبيق أحكامه العامّة في السياسة والاقتصاد والإدارة والتنظيم العسكري والاجتماعي، وبإيجاز أوجد هذا الصلح المجال والأرضية الصالحة لتأسيس حكومة الإسلام وتحكيم أُصوله وقواعده في المجتمع الإنساني بعد أن كانت مفاهيمه محصورة بالعلاقات الشخصية والعبادات، وهذا فتح ثالث يتجاوز مرحلة الاعتراف بالوجود والإقرار بالإيمان والزيادة في عدد الأفراد إلى مرحلة الإيمان القلبي والتجسيد الفكري والثقافي للمبادئ الإسلامية وتطبيقها على الحياة العامّة، والذي هو الغاية الأهم التي وقفت وراء البعثة، وهو أن يؤمن الناس بالإسلام، ويهتدوا إلى نوره بإرادة وفكر وقلب سليم،

ويرسّخوا مبادئه في كلّ صعيد حتّى يقوم الدين في الحياة، وتتأسّس حضارة للإسلام تبقى مع الأيّام تمحي الكفر والشرك والنفاق، وتشعّ بالنور والخير والمحبّة والهداية إلى التوحيد والعدل في الفكر والعمل .

وهذا ما يشير إليه منطوق الآيات الثلاث؛ إذ نصّ على أنّ الله سبحانه منح المصطفى ﷺ بهذا الفتح المبين أربع نعم عظيمة هي :

١ ـ الغفران لما مضى وما يأتي من تبعات وآثار معنوية في قلوب الناس .

٢ ـ إتمامه النعمة .

٣ ـ الهداية .

٤ ـ النصر العزيز .

ومعنى النعمة الأُولى أنّ فتح مكّة وظفر النبي ﷺ بأعدائه وعفوه عنهم وقبوله إسلامهم وإذعانهم لحقائقه يمحي الآثار السلبية التي كانت في قلوبهم عن الدين،

ويؤسّس لفهم سياسة الإسلام في المستقبل فهماً متوازناً يمحي العداوات والخصومات، فإنّ غالب العداوات تنشأ من سببين:

أحدهما: اختلاف الفهم.

وثانيهما: اختلاف المصالح.

فإذا تفهّم الناس حقيقة الإسلام وصدق مبادئه وغاياته ووجدوا مصالحهم متحقّقة فيه فإنّه ينتهي مبرّر الحرب، وتبطل مبرّرات الصراع ليس فقط على صعيد الحرب العسكرية، بل حتّى على صعيد الحربين الفكرية والنفسية، فإنّ المشركين وحلفاءهم حاربوا الإسلام بالدعايات الكاذبة، واتّهموا النبي صلى الله عليه وآله وأشاعوا عنه الكثير من الأكاذيب، وخذّلوا الناس وأرجعوهم لكي ينفروا عن الإسلام.

ولكن انقلبت النتائج عليهم بفتح مكّة؛ إذ انتصر النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون، وظهرت صدق دعواه ودقّة مناهجه

وخططه، وأبطلت كلّ مزاعم الأعداء، فإنّهم أشاعوا عن النبي صلى الله عليه وآله بأنّه يبغي الحرب والقتال، ويفرّق المجتمع، ويثير الفتن، ويأبى الحلول السلمية، ويرفض المساومة والدخول في التفاهم وغيرها من دعايات تشوّه الصورة الناصعة للنبي صلى الله عليه وآله والإسلام، فكشف صلح الحديبية خلاف ما اتّهموه به، فأظهر أنّ غاية النبي صلى الله عليه وآله هي الإصلاح والهداية، وأنّ دينه إلهي، ومنطلقاته ربّانية لا بشرية، وأنّ مناهجه تنموية للبشر تدعو إلى المسالمة واحترام الحقوق والوفاء بالوعود، كما أنّه يحترم الكعبة والحرم الإلهي، ولا يهاجم أيّة جماعة أو قبيلة لمصالح سياسية، أو لمطامع دنيوية، بل هو نبي يحبّ الناس، ويسعى لهدايتهم وصلاحهم، ويكرم أنصاره ويحترمهم، ويوظّف طاقاتهم للخير، وهو داعية سلام لا حرب، ورسول حبّ ووئام لا زعيم سياسي أو سلطان.

وواضح أنّ تبدّل ميزان القيم، وتغيير الانطباع السلبي

العام الذي كان سائداً إلى انطباع إيجابي وتحويل الناس من معاندين أو مرتابين إلى مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وآله وبرسالته الإلهية من شأنه أن يمحي تبعات الماضي وكلّ ما يتّهم به في المستقبل من قبل الأعداء. ومن هنا قال سبحانه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [1].

وأمّا النعمة الثانية فهي وضع أهم أُسس بقاء الدين وهو الخلافة والإمامة من بعده، وبهذه النعمة تتحقّق الهداية، ويرتسم الطريق الذي أراده الباري عزّوجلّ للبشر إلى يوم القيامة، وإذا آمن الناس بالدعوة واتّبعوا القادة الصالحين واتّضح الطريق الذي يرسم النهج والسياسة العامّة للمجتمع والدولة اجتمعت لديهم عناصر النصر وكانوا منتصرين، وهو نصر يتمتّع بالقوّة والعزّة والمنعة، فلا هزيمة ولا تراجع من بعده ، ولذا وصفه بالنصر العزيز. هذا المعنى الذي أشارت إليه الآيات ورد مضمونه في الأخبار الشريفة

(١) سورة الفتح : الآية ٢ .

أيضاً، فقد ورد أنّه لمّا نزلت سورة الفتح قال ﷺ: «أُنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾[1]»[2].

وفي جواب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون حين سأله عن معنى قوله سبحانه ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] مع أنّه ﷺ معصوم ؟ قال عليه السلام: « لم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ ؛ لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً ، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ... فلمّا فتح الله تعالى على نبيّه ﷺ مكّة قال له: يامحمّد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4] عند مشركي أهل مكّة... لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج

---

(١) سورة الفتح : الآية (١) .

(٢) أُنظر مجمع البيان : ج٩ ، ص١٦٥ ؛ تفسير نور الثقلين : ج٧ ، ص٥١ ، ح٣ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢ .

(٤) سورة الفتح : الآية ١ و ٢ .

بعضهم عن مكّة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد إذا دعاه الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم» فقال المأمون: لله درّك ياأبا الحسن[1].

ويتلخّص ممّا تقدّم: أنّ قيمة الفتح في ميزان الشرع أعلى وأسمى من قيمة النصر؛ لأنّ الفاتح يحقّق الغايات الإلهية؛ ويرسّخ المفاهيم والقيم الدينية التي أرادها الله سبحانه أن تكون حاكمة في الحياة البشرية، سواء على مستوى السلوك الشخصي أو مستوى القوانين والأنظمة والأحكام العامّة، بخلاف النصر فإنّه قد يحقّق غلبة على الخصم في آن ولكنّه ينهزم حضارياً قروناً من الزمان، ومن هنا أكّدت الأخبار على أنّ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء؛ لأنّ دم الشهيد قد يحقّق انتصاراً في المعركة ولكن الذي يبقي قيم الشهيد، ويحمي مبادئه وأهدافه هو مداد العلماء، فلولا

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١٥٥، ح١.

مداد العلماء لم يكن شهيد ولا شهادة، ولولاه لم تتواصل مسيرتهما في الأجيال. ولّما يبلغ النصر مستوى الفتح يكون نصراً عزيزاً؛ لأنّه يعزّز مكانة الفتح والفاتحين، ويسمو بمبادئهما وأهدافهما .

وبهذا الفتح يتّضح أنّ النسبة بين الفتح والنصر هي العموم من وجه، فقد يكون نصراً لا فتح فيه، وهذا هو الغالب في نزاعات أهل الدنيا وحروبهم، فإنّ القوي يتغلّب على الضعيف ولكنّه بما يحمله من أهداف تافهة وغايات رخيصة لا يسمّى فتحاً، ولذا يبقى في حدود السيطرة والغلبة بالقوّة، وسرعان ما ينتهي أو تنقلب الموازين فيكون الغالب مغلوباً، وقد يكون فتحاً لا نصر فيه، كمداد العلماء الذي ينوّر المجتمعات، ويهدي الأُمم إلى مصالحها بلا حرب ولا قتال .

وقد يكون نصراً وفتحاً معاً، كما حصل في فتح مكّة حيث انتصر المسلمون في ميزان القوّة المادّية والقوّة المعنوية

معاً، ولكن ما حصل في فتح مكّة هو انقلاب الموازين؛ لأنّ المشركين انهزموا فكرياً وعقيدياً أوّلا، وتصدّع بنيانهم القائم على قيم الجاهلية في قبال قيم الإسلام ببركة صلح الحديبية الذي كان المنطلق الأوّل لهذه الهزيمة، ثمّ انهزموا في ميزان القوّة أيضاً، فالفتح يتعلّق بالانتصار الحضاري والغلبة في الفكر والقيم الحرّة، بينما النصر يتعلّق بالفتح العسكري والسياسي، ولا شكّ في أنّ الأوّل أعظم درجة من الثاني، بل الثاني بحساب الموازين الواقعية للأُمور ليس نصراً ـ بالمعنى الدقيق للكلمة ـ بل غلبة وسيطرة، وهاتان الصفتان إذا لم تقترنا بالإيمان وسلامة الفكر والسيادة على القلوب والمشاعر فإنّها سرعان ما تزول وتهزم من جديد، وقد مرّت على الأجيال دول كثيرة وحكّام وملوك حكموا الناس بالقوّة والغلبة لكن سرعان ما سقطت دولهم، وزالت قدرتهم، وقامت وراءهم دول وحكومات أُخرى، بينما بقيت رسالات الأنبياء عليهم السلام ودعواتهم خالدة مع

الزمان تهدي وتربّي وتعلّم، ولا زال العالم مديناً للجهود الجبّارة التي بذلها الأنبياء وأتباعهم في هذا السبيل مع أنّهم شرّدوا وعذّبوا وقتلوا، وهذا هو الفتح وهو النصر في ميزان الحقّ والواقع .

وهذه الضابطة ذاتها نلحظها فيما أنجزه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وعاشوراء، فإنّه عليه السلام وصف شهادته المباركة بالفتح حيث خاطب قومه وأهله: «ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[1].

وما هذا الفتح الذي وعد به الإمام الحسين عليه السلام أهله وعشيرته وهو يخبرهم عن الشهادة؟ وليس ذلك إلاّ أنّ تكون الشهادة وقيمها هي مشروع هذا الفتح ومادته .

فهو عليه السلام لا يتحدّث عن النصر؛ لأنّ ميزان النصر يميل إلى كفّة العدو، وإنّما يتحدّث عن الفتح؛ لأنّ ميزانه بيده،

---

(١) أُنظر كامل الزيارات : ص١٥٧ ، ح٢٠ ؛ بحار الأنوار : ج٤٥ ، ص٨٧ ، ح٢٣ ؛ المناقب: ج٤ ، ص٧٦ .

وهذا ما حدث ؛ لأنّه عليه السلام يريد أن يحوّل الشهادة لأجل الله سبحانه وفي سبيل دينه وأحكامه إلى مشروع إلهي عام ترخص لأجله النفس والأهل والولد، ويصير ذكرى الشهيد النهج الذي يحيي النفوس المريضة والضمائر الميتة، ويهزّ في الوجدان البشري قيم الحقّ والعدل والصبر، ويحرّره من الخنوع والاستسلام لقيم الباطل وأهدافه الشريرة .

وهذا هو منطلق الشعائر الحسينية، وهو الغاية من وراء إحيائها وترويجها عبر الأجيال والقرون؛ لأنّها المشروع الذي يكمّل مسيرة الفتح الحسيني، ويرفد أفكاره ومبادئه وغاياته بالروح والقوّة والطموح ، ويحيي في الناس قيم الخير، ويكافح قيم الشرّ، فلولا الشعائر الحسينية وإحياؤها عبر الزمان لأكمل يزيد واليزيديون غلبة الانتصار بالقيم بعد غلبتهم بالسيف، ولساد الباطل، واندرس الحقّ، ولم يعرف الناس عن كربلاء وعاشوراء إلاّ السرد التأريخي لبعض الأحداث، ومرّوا عليها كما يمرّون على قصص ألف

ليلة وليلة، وهذا ما يؤكّده جواب الإمام السجّاد لإبراهيم بن طلحة بن عبدالله لّما سأله حين رجوعه إلى المدينة مَنْ الغالب؟ فقال الإمام السجّاد عليه السلام: «إذا دخل وقت الصلاة فأذِّن وأقم تعرف الغالب»[1].

بهذا المفهوم والرؤية يجب أن تقرأ عاشوراء، وبه تظهر أهميّة الشهادة والغاية من إحيائها بكلّ ما يمكن أن تحيا به فكرة، وينتصر لقضية، والتي تلخّص بمشروع الشعائر الحسينية بأساليبه وأشكاله المختلفة.

(١) أمالي الطوسي : ص٦٦ .

المحتويات

كلمة الناشر ٥

تمهيد: ٧

الخصوصيّة الأُولى: الحسين عليه السلام مظهر الجمال والجلال الإلهي ١١

الخصوصيّة الثانية: الحسين عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية ٤١

الخصوصيّة الثالثة: القرآن يقصّ مصيبة الحسين عليه السلام ويعظّم شعائره ٥٣

الخصوصيّة الرابعة: أنّه قتيل الله وابن قتيله ٩١

الخصوصيّة الخامسة: أنّه نور الله الذي لا يطفأ ١٢٥

الخصوصيّة السادسة: أنّه حياة القلوب والشرائع ١٤١

الخصوصيّة السابعة: دمه عليه السلام أقدس شعيرة إلهية ١٥٩

الخصوصيّة الثامنة: مرقده عليه السلام معراج إلى الملكوت ١٨٧

الخصوصيّة التاسعة: الحسين عليه السلام باب التوفيق وقبول الأعمال
..... ١٩٩

الخصوصيّة العاشرة: الحسين عليه السلام والفتح الإلهي ٢٠٥

المحتويات ٢٢٣